**المحاضرة الأولى: مفهوم الانثروبولوجيا وبعض المفاهيم القريبة \*الاثنوغرافيا \*الاثنولوجيا**

يجمع الباحثون في علم الانثروبولوجيا على أنه علم حديث العهد إذا ما قيس ببقية العلوم الأخرى، حيث لم يعرف الفكر الانثروبولوجي الا قبل النصف الثاني من القرن العشرين، ورغم ذلك فالأنثروبولوجیا تتبوأ كعلم حدیث النشأة مكانة كبیرة بین العلوم الیوم، نظرا لما تتمیز به من خصائص، ولما تتمتع به موضوعاتها من جاذبیة وإغراء خاصة أن موضوع الدراسة الأساسي هو الإنسان في صوره الثقافیة المختلفة وأنماطه التفاعلیة المتعددة.

**أولا: مفهوم الانثروبولوجيا:**

إن لفظة انثروبولوجيا ANTHROPOLOGY هي كلمة انجليزية مشتقة من الأصل اليوناني المكون من مقطعين :

انثروبوس ANTHROPOSومعناه "الإنسان"

لوجوس LOGOS ومعناه "علم" أو "دراسة"

وبذلك يصبح معنى الانثروبولوجيا من حيث اللفظ **"علم الإنسان**" أي العلم الذي يدرس الإنسان، والإنسان هو الاطار الوحيد الذي يحدد الموضوعات التي يدرسها هذا العلم أما الزمان أو المكان فلا يقيدان الموضوعات التي تدخل في نطاقه، بمعنى انه العلم الذي يدرس الإنسان وأجداده وأصوله منذ أقدم العصور والأزمنة حتى يومنا هذا، وكلمة **الإنسان** هنا مطلقة لذلك اعتبر هذا العلم شاملا في دراسته لمختلف الجوانب:

**الطبيعـــــية والاجتمـــــــاعية والحــــــــضارية**

وتعرف الانثروبولوجيا أيضا بأنها علم (الاناسة) أي العلم الذي يدرس الإنسان كمخلوق ينتمي إلى العالم الحيواني من جهة ومن جهة أخرى أنه الوحيد من الأنواع الحيوانية كلها الذي يصنع الثقافة ويبدعها.

وعليه فعلم الإنسان يتناول بالدراسة الجانب البيولوجي للإنسان باعتباره كائنا عضويا ، فيصف تركيبته العضوية في الحاضر والغابر، ويقارن بين الخصائص الطبيعية لإنسان اليوم مع إنسان الحضارات القديمة.

اما فيما تعلق بالجانب الاجتماعي والحضاري فنجد الانثروبولوجيي يركز على البناء الاجتماعي محاولا فهم مختلف البنيات المكونة له والتي تتجسد في مختلف النظم والمؤسسسات الاجتماعية كنظام الأسرة والدين والقرابة والزواج...الخ، وهذه النظم المشكلة للبناء الاجتماعي هي الموضوع الأساسي للانثروبولوجيا في جانبها الاجتماعي، اما الجانب الحضاري ( الثقافي) فهو يشير الى اتجاه الانثروبولوجي الى محاولة فهم ثقافة الشعوب بوصفها ومقارنة بعضها بالبعض الاخر.

ولتقريب النظر أكثر نورد ما قالته الانثروبولوجية الامريكية "**مارغريت ميد**" : نحن نصف الخصائص الانسانية ، البيولوجية، والثقافية، للنوع البشري عبر الازمان وفي سائر الاماكن، ونحلل الصفات البيولوجية والثقافية المحلية كانساق مترابطة ومتغيرة، كما نهتم بوصف وتحليل النظم الاجتماعية والتكنولوجيا، ونعنى ايضا ببحث الادراك العقلي للانسان وابتكاراته ومعتقداته ووسائل اتصالاته".

ولذلك، تعرّف الأنثروبولوجيا، بأنّها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي، يعيش في مجتمع

تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظلّ ثقافة معيّنة .. ويقوم بأعمال متعدّدة، ويسلك سلوكاً محدّداً. وهو أيضاً العلم الذي يدرس الحياة البدائية، والحياة الحديثة المعاصرة، ويحاول التنبّؤ بمستقبل الإنسان معتمداً على تطوّره عبر التاريخ الإنساني الطويل.

وعليه تعرف الأنثروبولوجيا بصورة مختصرة وشاملة بأنّها " علم دراسة الإنسان طبيعياً واجتماعياً وحضارياً أي أنّ الأنثروبولوجيا لا تدرس الإنسان ككائن وحيد بذاته، أو منعزل عن أبناء جنسه، إنّما تدرسه بوصفه كائناً اجتماعياً بطبعه، يحيا في مجتمع معيّن له ميزاته الخاصة في مكان وزمان معينين .

**\*\*الانثروبولوجيا والاثنولوجيا و الاثنوغرافيا:**

**الاثنو غرفيا:** هي من حيث الاصل اللغوي كلمة يونانية مركبة من لفظة **اثنوس** أي الاقلية أو الشعب أو القبيلة أو العشيرة، ولفظة كرافوس أي الوصف والتصوير ليصبح المعنى الدراسة الوصفية للشعوب.

فالبحث الاثنوغرافي يسعى الى رصد المعلومات من خلال الدراسة الوصفية للمجتمعات والثقافات المختلفة، ومن ناحية أخرى فإنه يعنى الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد والعادات والقيم والأدوات والفنون والمأثوات الشعبية لدى جماعة معينة أو مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة، وعادة ما يتم البحث الاثنوغرافي على مجتمعات محلية صغيرة الحجم غالبا.(وعادة ما تقتصر الاثنوغرافيا في دراساتها على الناحية الوصفية للحضارات دون تقديم تفسير أو تحليل لها أي دون التعليق عليها).

**الاثنولوجيا:** هي من حيث الاصل اللغوي كلمة يونانية مركبة منلفظة **اثنوس** أي الاقلية أو الشعب أو القبيلة أو العشيرة، ولفظ لوغوس ويعني الدراسة او العلم ، ليصبح المعنى هو علم الشعوب.

وتشير الى الدراسة التحليلية والمقارنة للمادة الاثنوغرافية بغرض الوصول الى تعميمات حول مختلف النظم واصولها وتطورها وتنوعها. وعليه فان الاثنولوجيا تستفيد عمليا من البيانات التي تزودها بها الاثنوغرافيا، ليقوم الباحث الاثنولوجي بعد ذلك بتصنيف الحضارات في مجموعات أو أشكال على اساس مقاييس معينة وتحليلها، واستخلاص المبادئ منها.فهدف الاثنولوجي هو الوصول الى قوانين عامة للعادات الانسانية ولظاهرة التغير الحضاري.

ورغم وضوح مفهوم **الانثروبولوجيا** إلا أن استخداماته تختلف من بلد لآخر ومن مدرسة لأخرى، لذلك قد يجد الباحث تداخلات بينه وبين المفاهيم سابقة الذكر.ويمكن إيضاح ذلك بايجاز في النقاط التالية:

ففي أمريكا نجد استخدامين اساسيين لمفهوم الانثروبولوجيا هما:

الانثروبولوجيا الجسمية ( الفيزيقية): وتشير الى دراسة الجانب العضوي والحيوي للانسان.

الانثروبولوجيا الثقافية: وتشير الى مجموعة التخصصات التي تدرس النواحي الاجتماعية والثقافية لحياة الانسان. ويدخل في نطاق الانثروبولوجيا الثقافية مجموعة من الفروع الدراسية وهي:

علم اللغويات ، الاثنوغرافيا، الاثنولوجيا، علم الاثار باعتبار أن علماء الآثار هم أنثروبولوجيون متخصصون في إعادة بناء وتحليل ثقافات الماضي.

وفي مقابل الانثروبولوجيا الثقافية الذي يتداوله الأمريكيون يستخدم الانجليز مصطلحا أخر هو مصطلح "الانثروبولوجيا الاجتماعية"فمهمة الانثروبولوجيا الاجتماعية مثلما يرى ايفانز بريتشارد : انها تدرس السلوك الاجتماعي الذي يتخذ في العادة شكل نظم اجتماعية كالعائلة ونسق القرابة والتنظيم السياسي والاجراءات القانونية والعبادات وغيرها، كما تدرس العلاقة بين هذه النظم سواء في المجتمعات المعاصرة او في المجتمعات التاريخية التي يوجد لدينا عنها معلومات مناسبة من هذا النوع، يمكن معها القيام بمثل هذه الدراسات". وعليه فوحدة التحليل الاساسية في الانثروبولوجيا الاجتماعية هي المجتمع –العلاقات الاجتماعية التي تشكل مختلف النظم والانساق الاجتماعية- وليست الثقافة واجزاؤها كما يعتقد الامريكيون.

ويبدو خلال ماسبق ان الاختلاف قائم على الأساس الذي تنطلق منه كل مجموعة، الانثروبولوجيا الاجتماعية تنطلق في العمل بدءا من الكل (البنية الاجتماعية) او على الاقل اعطاء الأولوية للكل على الأجزاء، مقابل الانثروبولوجيا الثقافية التي تعمل عكس ذلك حيث تعطي الأولوية للأجزاء (العناصر المادية والمعنوية )لتصل الى فهم البنية الكلية للمجتمع.

وعلى العموم فان الاختلاف في تحديد التسمية هو اختلاف شكلي فحسب ، فكل من الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية تؤولان الى نفس المواضيع خلال عملية الدراسة فالاختلاف بين ما هو "ا**جتماعي**" وما هو "**ثقافي**" ليس بالاختلاف الكبير.

وحتى القرن التاسع عشر يميل الفرنسيون أكثر الى استخدام مصطلح الاثنولوجيا ومرافقتها الاثنوغرافيا (دراسة المجتمعات البدائية من وجهة نظر وحيدة تتمثل في تصنيف الأعراق والحفريات البشرية، ومن المحتمل جدا ان ما سمي اثنوغرافيا يعالج مجال الاحاثة البشرية حيث تمت اعادة التسمية باعتبارها تخصصا اكاديميا عرف فيما بعد) للتعبير عن الجانب الثقافي وكثيرا ما يدرسونه تحت مظلة علم الاجتماع .

**وعلى العموم فان الشعوب الناطقة باللغة الانجليزية جميعها تطلق على علم الانثروبولوجيا "علم الانسان وأعماله" بينما يطلق المصطلح ذاته في البلدان الاوروبية غير الناطقة بالانجليزية على " دراسة الخصائص الجسمية للانسان" .ففي انجلترا مثلا يطلق مصطلح الانثروبولوجيا على دراسة الشعوب وكياناتها الاجتماعية مع ميل خاص للتأكيد على دراسة الشعوب البدائية، أما في أمريكا فيرى العلماء أن الانثروبولوجيا هي علم دراسة الثقافات البشرية البدائية والمعاصرة، في حين أن علماء فرنسا يعنون بهذا المصطلح دراسة الانسان من الناحية الطبيعية أي العضوية.**

**المحاضرة الثانية: علاقة الانثروبولوجيا بالعلوم الأخرى:**

هناك علاقة وطیدة بین علم الإنسان وباقي العلوم الأخرى سواء تلك التي تنتمي إلى حقل العلوم الإنسانیة والاجتماعیة أو التي تنتمي إلى حقل العلوم الطبیعیة، فشمولیة الدراسة في مجال الأنثروبولوجیا وتغطیتها للعدید من المجالات جعلها تتقاطع مع حقول معرفیة أخرى تتقاسم معها المجالات ذاتها، أو تتبادل معها المعلومات والمعارف التي یوفرها فرع معرفي معین بمثابة قاعدة وأساس للانطلاق في الدراسة بالنسبة لفرع معرفي آخر، ذلك ما یبدو مثلا في اعتماد الباحث الأنثروبولوجي على ما یوفره عالم الآثار من معلومات على الشعوب الغابرة، ولبیان العلاقة بین

الأنثروبولوجیا وغیرها من العلوم نحاول إیراد بعض الأمثلة على ذلك.

**\*علاقة الأنثروبولوجیا بالبیولوجیا -علم الأحیاء-:**

يتناول علم الأحياء دراسة الكائنات الحية من وحيد الخلية الأبسط تركيبا إلى كثير الخلايا الأكثر تعقيدا، ويرتبط علم الأحياء بالعلوم الطبيعية ولا سيما علم وظائف الأعضاء والتشريح وحياة الكائن الحي، وتدخل في ذلك نظرية التطور التي تقول بأن أجسام أجناس الكائنات الحية وأنواعها ووظائف أعضائها تتغير باستمرار ما دامت هذه الكائنات تتكاثر وتنتج أجيالا جديدة قد تكون ارقي من الأجيال السابقة.

وعليه الانثروبولوجيا من الناحية النظرية شديدة القرب من البيولوجيا ، ومرد هذا على وجه الخصوص إلى اعتماد الأنثروبولوجیا حین نشأتها على نظریة التطور البیولوجي التي تزعمها " تشارلز داروین"، والعمل على وصف الثقافة والمجتمع من منطلق هذه الخلفیة التطوریة. لقد كان هربرت سبنسر رائدا لهذا النزعة التطوریة حیث ماثل بین تطور الكائن الحي وتطور المجتمع البشري، متأثرا بنزعة التطور في البیولوجیا، فنمو جسم الإنسان ینطلق من خلیة ثم ینمو لیصبح جسما مكتملا مشكلا من العدید من الأعضاء التي تؤدي وظائف تحفظ توازن واستمرار الإنساني بما یشبه تماما نمو المجتمع البشري الذي یبدأ بأسرة ثم یتوسع إلى عشائر وقبائل تشكل مجتمعا كبیرا.

وقد أدى الربط بین البیولوجیا والأنثروبولوجیا وخاصة في جانبها الفیزیقي إلى تسمیة الأنثروبولوجیا البیولوجیة ب" البیولوجیا الإنسانیة "، بالإضافة إلى هذا نجد أن الرجوع إلى البیولوجیا بالنسبة للأنثروبولوجیین قد ساعد كثیرا في فهم الأسس البیولوجیة للسلوك الثقافي للإنسان.

أما فیما یخص موضوع كل منهما فإنهما یشتركان في العمل على فهم التنوع والاختلاف، فإذا كان موضوع البیولوجیا یركز على محاولة فهم التنوع والاختلاف الجیني، فإن محاولة فهم الاختلاف الاجتماعي هو المقصود من الدراسات الأنثروبولوجیة، كما یمكن لموضوع السلالة والعرق أن یوحد بین البیولوجیا والأنثروبولوجیا من خلال عملیة التصنیف وتحدید الخصائص البیولوجیة والثقافیة لهذه السلالات والأعراق.

**\*علاقة الانثروبولوجيا بالجيولوجيا والجغرافيا:**

تساعد الدراسات في مجال الجیولوجیا (علم طبقات الأرض) في تحدید الفترات الزمنیة التي عاش فیها الإنسان، وذلك بتتبع البقایا العظمیة لإنسان ما قبل التاریخ، التي یتم الحصول علیها في ثنایا القشرة الأرضیة الرسوبیة

والمنضدة بعضها فوق بعض، وفقا لخاصیة النشوء والتقادم حیث یكون أسفلها أقدمها وأعلاها أحدثها، كما یمكننا هذا أیضا من معرفة طبیعة الحیوانات التي كانت مرافقة لذلك الجنس البشري من خلال البقایا العظمیة للحیوانات التي كانت ترافقه في نفس البیئة الجغرافیة

ویعمل الجیولوجي على تزوید الأركیولوجي (عالم الآثار) بعمر الأشیاء التي یعثر علیها، فالجیولوجي یستطیع أن یحدد بعض البقایا الثقافیة التي یعثر علیها في بعض الشقوق الأرضیة أو في بعض الترسبات أو في بعض الطبقات الأرضیة التي تنتمي إلى عصر جیولوجي معین. ویستفید الأنثروبولوجي من المعلومات التي یقدمها الجیولوجي أو الأركیولوجي من خلال تكوین معرفة بالإنسان القدیم ومقارنة خصائصه الفیزیقیة والثقافیة بالإنسان الحالي، وكذلك من خلال رصد مختلف المراحل التطوریة للجنس البشري.

بالإضافة إلى استفادة الأنثروبولوجي من الجیولوجي تشكل المعطیات الجغرافیة خلفیة أساسیة في تفسیر الأنثروبولوجي للسلوك البشري ولعادات وطبائع الأفراد والجماعات، فالعوامل الجغرافیة من تضاریس ومناخ وبیئة لها تأثیر واضح على سلوك البشر، لذلك نجد، الأحوال المعیشیة والبنى الاجتماعیة عند المجتمعات البشریة لیست متشابهة بسبب تباین الظروف الجغرافیة التي توجد في تلك المجتمعات، فسكان المناطق الجبلیة المرتفعة یكونون في مأمن عن الأخطار الخارجیة بینما یتعرض سكان السهول دوما إلى غزوات واجتیاحات. .، وفي المقابل

یكون سكان المناطق الساحلیة أكثر انفتاحا في علاقاتهم مع العالم الخارجي.

ويمكن الرجوع في هذا إلى نظرة ابن خلدون في ربطه بین البیئة والسلوك الإنساني حیث تؤدي البیئة والتضاریس إلى تشكیل نوع معین من السلوك.

**\*علاقة الانثروبولوجيا بعلم النفس:**

يعرف علم النفس بأنه " العلم الذي يهتم بدراسة العقل البشري والطبيعة البشرية والسلوك الناتج عنهما، أي انه مجموعة الحقائق التي يتم الحصول عليها من وجهة النظر النفسية" بمعنى انه العلم الذي يدرس سلوك الانسان بهدف فهمه وتفسيره.

ولما كانت الانثروبولوجيا توصف بأنها العلم الذي يدرس الانسان من حيث تطوره وسلوكاته وأنماط حياته فإن علم النفس يشارك الانثروبولوجيا في دراسة سلوك الانسان ولكنهما يختلفان في طريقة البحث وسياقه،:فعلم النفس يركز على سلوك الانسان/ الفرد، أما الانثروبولوجيا فتركز على السلوك الانساني بشكل عام/ السلوك الجماعي النابع عن ثقافة الجماعة. وعلى الرغم من ان علم النفس يقصر دراسته على الفرد، بينما تركز الانثروبولوجيا اهتمامها على المجموعة، فثمة صلة وثيقة بين العلمين حيث اكتشف علماء النفس ان الانسان لا يعيش الا في بيئة اجتماعية يؤثر ويتأثر بها .

**\*علاقة الانثروبولوجيا بعلم الاجتماع:**

تكاد تكون العلاقة بين العلمين متداخلة للسبب الأول أن غالبية علماء الأنثروبولوجيا هم كذلك علماء

الاجتماع والسبب الثاني هو التداخل في معظم الموضوعات المدروسة، فكلاهما یتناول السلوك الإنساني

بالدراسة، كما یركزان على عملیات التفاعل التي تحدث بین أفراد المجتمع، واتخاذ العلاقات الاجتماعیة التي تحدث داخل جماعة معینة محلا للملاحظة من قبل السوسیولوجي والأنثروبولوجي على سواء، وكذلك الاهتمام بالنظم الاجتماعیة المختلفة مثل النظام الدیني والنظام السیاسي والنظام الاقتصادي. .الخ، هذا ما جعل أحد رواد الانثروبولوجیا الاجتماعیة وهو **رادكلیف براون** یصرح بأنه یمكن اعتبار الأنثروبولوجیا الاجتماعیة فرعا من فروع علم الاجتماع، بل وقد اعتبرها بمثابة علم الاجتماع المقارن.

غیر أن الأنثروبولوجیا في عمومها باعتبارها تتناول الإنسان بالدراسة من كل جوانبه الطبیعیة والاجتماعیة والثقافیة أشمل نوعا ما من علم الاجتماع الذي یركز اهتمامه على الجانب الاجتماعي والثقافي فقط، بینما تشكل مباحث الانثروبولوجیا الفیزیقیة إضافة قیمة لمجال الأنثروبولوجیا على وجه العموم.

ویبدو الاختلاف قائما بین الأنثروبولوجیا الاجتماعیة وعلم الاجتماع في تركیز الانثروبولوجیا على دراسة المجتمعات التي تسمى " بدائیة " وبالمقابل اهتمام علم الاجتماع بالظواهر والمشكلات الاجتماعیة داخل المجتمعات المعقدة، هذا الذي جعل الانثروبولوجیا تتناول المجتمعات المدروسة في كلیتها باعتبارها مجتمعات صغیرة الحجم، فتتناول مثلا نظامها الدیني والقرابي والسیاسي وتغوص في تحلیل عاداتها وتقالیدها وأنماطها السلوكیة وأشكالها التعبیریة.الخ، وفي المقابل كان اتجاه علم الاجتماع نحو دراسة المجتمعات المعقدة كنوع من التناول الجزئي للمشكلات والظواهر

مثل مشكلات الأسرة والطلاق والجریمة والبطالة. .الخ.

غیر أننا الیوم بصدد نوع من التقارب بین الأنثروبولوجیا وعلم الاجتماع فقد ضاقت الحدود بینهما وتلاشت الفروق إلى حد لم فیه التفریق واردا في كثیر من المواضع، فقد تقلص اهتمام الأنثروبولوجیین بتلك المشكلات التقلیدیة في الأنماط المجتمعیة البدائیة كدراسة نظم الزواج والشعائر الدینیة المرتبطة بالطوطم، وأصبحت هناك دراسات انثروبولوجیة حقلیة لكثیر من مشكلات المجتمع الصناعي كمشكلة الهجرة والصراع العرقي والتنمیة الاجتماعیة والانحراف والتربیة. .الخ، وبالمقابل هناك مزید من الاهتمام في الدراسات السوسیولوجیة بالمجتمعات المحلیة الصغیرة ونظمها الاجتماعیة، ولعل مساهمات علم الاجتماع الریفي خیر دلیل على ذلك.

ومن الخصائص الأساسیة للبحوث السوسیولوجیة التقلیدیة اعتمادها على المعلومات الكمیة عند عملیة التحلیل والمقارنة في مقابل البحوث الأنثروبولوجیة التي تمیزت باعتمادها على البحوث الكیفیة التي تستند بوجه خاص إلى تطبیق تقنیة الملاحظة بالمشاركة، غیر أن الأمر أصبح مختلفا الیوم في ظل الاتجاه المتزاید للأنثروبولوجیین نحو استخدام الأسالیب الإحصائیة، هذا الذي یزید من تقارب الأنثروبولوجیا وعلم الاجتماع إلى الحد الذي یجعل التفریق بین الدراسات في كلا الحقلین المعرفیین أمرا صعبا.

بالإضافة إلى هذا تتمیز الدراسات الأنثروبولوجیة عن غیرها من الدراسات التي تتناول الظواهر والنظم الاجتماعیة بأنها دراسات حقلیة (میدانیة)حیث یقیم الباحث بین الجماعة التي یدرسها لفترة زمنیة محددة حددها بعض العلماء بأنها لا تقل عن سنة حتى یستطیع أن یلاحظ عن قرب طریقة حیاة هذه الجماعة، غیر أن الدراسة الحقلیة لا تقتصر على المجتمعات التقلیدیة ولكنها ضروریة أیضا عند دراسة الأنثروبولوجي للمجتمع الصناعي مثلا.

**المحاضرة الثالثة :التطبيقات الانثروبولوجية قبل نشأة الانثروبولوجيا**

یحاول المختصون في كل علم البحث عن تأسیسات تاریخیة یصنفونها كبوادر أولى في سیاق نشأة العلم الذي یصفونه ویمارسونه، وللانثروبولوجیا كعلم حدیث النشأة بوادر غابرة في التاریخ، حیث نجد الكثیر من صفات الأنثروبولوجیا الحدیثة لدى مفكري وكتاب وشعراء الأزمنة القدیمة، وفي مختلف المجتمعات والحضارات، فمن الحضارة المصریة إلى الیونانیة إلى العصور الوسطى ثمة ممارسات أنثروبولوجیة وتنظیرات تتصل بالفكر الانثروبولوجي. وسنحاول ذكر البعض من هذه الممارسات في النقاط التالية:

1**/عند اليونان**:

إ ذا ما رجعنا إلى الحضارة الیونانیة القدیمة (الإغریقیة) فإنا نجد فیها بوادر واضحة مهدت لعلم الإنسان، فالكثير من الفلاسفة اليونانيين ذائعي الصیت قدموا إسهامات واضحة كانت بمثابة القاعدة الأساسیة لكل العلوم الاجتماعیة والإنسانیة، ومنها الأنثروبولوجیا.

ويعتبر هيرودوت (484-425ق م) من رواد الفكر الانثروبولوجيي لأنه أول من وصف الحياة الاجتماعية للإنسان في العديد من الشعوب، كما جمع العديد من الحكايات والأساطير حول العديد من البلدان في رحلاته المتعددة (مصر، ليبيا، لبنان، العراق، ايطاليا....) لقد قدم هیرودوت وخاصة في كتابه" **التواریخ**" معلومات وصفیة دقیقة عن العدید من الشعوب غیر الأوروبیة، من خلال وصف عاداتها وتقالیدها وملامحها الجسمیة وأصولها السلالیة. .الخ، كما عمل على وصف الحرب التي دارت بین الفرس والإغریق خلال القرن السادس قبل المیلاد، ومن خلال رحلاته المتعددة وقراءاته الغزیرة استطاع هیرودوت أن یقدم معلومات عن حوالي

خمسین شعبا وبأسلوب یزاوج بین الوصف والمقارنة.

كما أن أفلاطون (428-347 ق م) قد تناول دراسة السلالات البشرية و قسم المجتمع الى طبقات: طبقة الفلاسفة، الجند، العبيد. كما حاول في كتابه "الجمهوریة" أن یقدم صورة عن الكیفیة التي " یجب" أن یكون علیها المجتمع، ذلك ما جعل أفكاره محل انتقاد كبیر باعتبارها تأملات لما یجب أن یكون ولیس تصویرا لما هو كائن، غیر أن هذه الأفكار وإ ن كانت تعكس تصورات مثالیة إلا أنها تستند إلى الواقع الذي كان یحیاه أفلاطون، والأحداث والتغیرات السائدة في مجتمع أثینا، فالدافع لهذه التصورات هو تلك الأزمات السیاسیة والحروب واضطراب أحوال المجتمع آنذاك بصفة عامة.

ولا یختلف أرسطو عن أفلاطون حیث قدم إسهامات واضحة في تصنیف ووصف الحكومات بما یمهد لدراسة النظام السیاسي كأحد أهم النظم الاجتماعیة في الدراسات الانثروبولوجیة.

**2/العصور الوسطى في أوروبا:** خلال العصور الوسطى ظهرت بعض المحاولات في أوروبا صنفت على أنها أعمال ذات صلة بالأنثروبولوجیا، ومن هذه الأعمال محاولة الأسقف " إسیدور isidore "الذي أعد موسوعة

عن المعرفة خلال القرن السابع المیلادي أشار فیها إلى بعض عادات وتقالید الشعوب المجاورة، حیث قرر إسیدور وبنظرة عنصریة أن قرب الشعوب أو بعدها من أوروبا هو الذي یحدد درجة تقدمها، كما وصف الذین یعیشون في أماكن نائیة أنهم أناس غریبو الخلقة، كما ظهرت أیضا خلال القرن الثالث عشر موسوعة أخرى للفرنسي " باتولو ماكوس" والتي لم تختلف عن سابقتها في اعتمادها على الخیال في وصف الشعوب.

**3/ الحضارة العربیة الإسلامیة:** أما عند العرب خلال هذه الفترة (القرون الوسطى)فكان السائد في البدایة هو الاتجاه نحو ماسمي بالفتوحات الإسلامیة، بما اقتضى محاولة معرفة البلاد المفتوحة وفهم عادات أهلها، فبرزت

العدید من المعاجم الجغرافیة مثل " معجم البلدان : لیاقوت الحموي "، وكذلك بعض الموسوعات الكبیرة مثل

"مسالك الأمصار " لابن فضل الله العمري، و "نهایة الأرب في فنون العرب" للنویري.

ومن الآثار التي تدل على الممارسة الأنثروبولوجیة نجد كتاب البیروني " تحریر ما للهند من مقولة، مقبولة في العقل أو مرذولة "، لقد حاول البیروني أن یصف المجتمع الهندي من ناحیة نظمه الدینیة والاجتماعیة والثقافیة، كما عمل على مقارنة تلك النظم بمثیلاتها عند الیونان والعرب والفرس، كما تطرق أیضا لدور الدین في التوجیه الاجتماعي داخل المجتمع الهندي و إلى طبیعة اللغة ومستویاتها. ..الخ

كما نجد أیضا كتابات الرحالة ابن بطوطة في وصف البلاد التي ارتحل إلیها، فخلال القرن الثامن الهجري (الرابع عشر المیلادي)أفاض ابن بطوطة في وصف عادات وتقالید أهل هذه البلاد ومختلف أنماط حیاتهم، ومما ذكره ابن بطوطة عن عادات أهل السودان مایلي ":فمن أفعالهم الحسنة قلة الظلم، فهم أبعد الناس عنه، وسلطانهم لا یسامح أحدا في شيء منه، ومنها شمول الأمن في بلادهم، فلا یخاف المسافر فیها ولا المقیم من سارق ولاغاصب"

ورغم قیمة ما قدمه البیروني وابن بطوطة وغیرهما إلا أن أشهر الأعمال في تلك الفترة – وربما في غیرها- هي ما قدمه العلامة عبد الرحمان ابن خلدون في كتابه " العبر ودیوان المبتدأ والخبر في أیام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" الذي كان عملا تأصیلیا لعلم الاجتماع والأنثروبولوجیا، وهذا بشهادة الكثیر من الكتاب الغربیین.

لقد كانت مقدمة ابن خلدون الشهیرة عملا أصیلا في وصف السلوكات الإنسانیة والظواهر الاجتماعیة في اتصالها بالبیئة الجغرافیة، یبدو ذلك خاصة في ربط ابن خلدون بین طبیعة البیئة وطبیعة سلوك الإنسان، والتفاوت في ذلك بین سلوك أهل البدو وسلوك أهل الحضر، و يعد ابن خلدون من أبرز العلماء الذين تفطنوا لدراسة ظاهرة التطور وقدم حولها اسهامات جليلة وتبنى نظرية التفسير الدوري حيث أكد أن للتاريخ تسلسلا دوريا وأن المجتمع والدولة يمران بمراحل متعاقبة و لها عمر كما هو الحال عند الانسان . وأكد أن التاريخ البشري يسير وفق خطة معينة، فالمجتمع البشري شأنه شأن الفرد الذي يمر بمراحل منذ ولادته وحتى وفاته وكذلك يحدث للدول فمسيرتها دائرية تبدأ وتنتهي في النقطة التي كانت قد بدأت منها.وفي ذلك يقول :" ومن الغلط الخفي الذهول عن تبدل الأحوال من الأمم والأجيال بتبدل العصور ومرور الأيام ، وذلك لأن أحوال الأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر ، وإنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة و انتقال من حال إلى حال ، وكما يكون ذلك من الأشخاص والأوقات والأمصار فكذلك يقع في الأفاق و الأقطار والأزمنة و الدول".

**4/أوروبا في عصر النهضة:** وخلال عصر النهضة الأوروبیة برزت بعض المحطات التي اعتبرت تأسیسا

للأنثروبولوجیاأبرزها اكتشاف القارة الأمریكیة خلال الرحلة التي قام بها " كریستوف كولومبوس (1492-1502)حیث عاین وشاهد طریقة عیش السكان الأصلیین في العالم الجدید، من خلال احتكاكهالمباشر بالسكان ومعایشتة المباشرة لمختلف أنماط حیاتهم، ذلك الذي جعل وصفه یتسم بشيء منالموضوعیة.

كما تبلور في الفترة ذاتها الاتجاه الإنساني العلمي الذي یقوم على المنهج العلمي التجریبي منه والعقلي الریاضي،

على ید كل من فرانسیس بیكون (1561-1626) ورونیه دیكارث(1596-1650) بحیث أصبح ینظر للإنسان باعتباره ظاهرة طبیعیة یمكن دراسته باستخدام المنهج العلمي من أجل الكشف عن القوانین التي تحكم تطور الإنسان والمجتمع بما مهد لبلورة قاعدة نظریة ومنهجیة للعلوم الاجتماعیة والإنسانیة، وأسهم بشكل واضح في تشكیل الأرضیة العلمیة للأنثروبولوجیا كعلم خلال القرن التاسع عشر.

وفیما یتعلق بالدراسات الإثنوغرافیة والأنثروبولوجیة خلال هذه الفترة فكانت ثمة بعض المحاولات لعل أبرزها محاولة الرحالة الإسباني " جوزیه آكوستا" خلال القرن السادس عشر الذي عمل على تصنیف الشعوب وتطورها الحضاري بناء على معرفة القراءة والكتابة، فصنف أوروبا في الدرجة الأولى ثم الصین وبعدها المكسیك، ووفقا لهذا المعیار أیضا تم تصنیف شعوب أخرى في أسفل السلم، بالإضافة إلى تقدیمه افتراضا حول أصل السكان الأصلیین في العالم الجدید الذین نزحوا حسبه من آسیا إلى أمریكا.

وبالإضافة إلى جوزیه آكوستا یمكن الحدیث أیضا عن محاولات الفرنسي " میشیل دي مونتاني" الذي أجرى مقابلات مع السكان الأصلیین الذین أحضرهم بعض المكتشفین إلى أوروبا واستخدمهم كإخباریین، بغرض تحصیل معلومات عن عادات وتقالید موطنهم الأصلي، ولعل من أعمال "دي مونتاني "الشهیرة مقاله عن " آكلة لحوم البشر".

**5/خلال عصر الأنوار:** ویمكن الحدیث أیضا خلال عصر التنویر عن بعض المفكرین الذین ساهموا في إثراء الفكر الأنثروبولوجي والتمهید بذلك للأنثروبولوجیا حین ظهورها خلال القرن 19 م، ونذكر من هؤلاء الفرنسي " إلبارون دي مونتیسكیو" صاحب " روح القوانین"، لقد أولى مونتیسكیو اهتماما واضحا بعلاقة البیئة الاجتماعیة والثقافیة بالقانون وأثر كل منهما في الآخر، " وترجع أهمیة كتاب روح القوانین للفكر الأنثروبولوجي لما ورد فیه من إبراز لفكرة الترابط الوظیفي بین القوانین والعادات والتقالید والبیئة، أي كافة النواحي الطبیعیة والثقافیة، وقد سادت فیما بعد فكرة الترابط أو التساند الوظیفي بین هذه النظم الاجتماعیة خاصة في أعمال الأنثروبولوجیین الأنجلیز في أوائل القرنالعشرین. ویمكن الرجوع أیضا في الفترة ذاتها إلى فلسفة " جان جاك روسو" صاحب كتاب " العقد الاجتماعي" والذي أثر في كثیر من أعلام الأنثروبولوجیا فیما بعد، فقد اهتم روسو في العقد الاجتماعي بالقیم والأخلاق ومختلف جوانب الحیاة في المجتمع الفرنسي وفي غیره من المجتمعات، ولعل مما استحسنه البعض في كتابات روسو " أنه استطاع أن یخلص نفسه من التحیز الثقافي لمجتمعه، وأن ینقد قیمه، بینما یشید ویستحسن طرق حیاة الشعوب في المجتمعات الأخرى.

**المحاضرة الرابعة: نشأة الانثروبولوجيا وعلاقتها بالاستعمار**

ان فلاسفة القرن الثامن عشر ميلادي مهدوا لظهور علوم موضوعية تدرس النظم الاجتماعية، ومن أهم تلك العلوم التي مهدوا لها الانثروبولوجيا، ولعل من مظاهر هذا التمهيد الاهتمام بالمجتمعات البدائية، غير أن مصادر المعلومات عن تلك المجتمعات لاتخرج عن الكتابات التخمينية وبعض رحلات الاستكشاف، وعلى الرغم من تأكيدهم ضرورة استخدام المناهج الاستقرائية في دراسة المجتمعات الانسانية نجد ابحاثهم خالية تماما من تلك المناهج والاعتماد على التخمين، وكان الاتجاه الغالب يصور الانسان البدائي على أنه شخصية فظة متوحشة، ويضع المجتمع البدائي الهمجي على طرفي نقيض بالنسبة للمجتمع المتمدن المتقدم.

وبما أن الدراسة الميدانية هي أحد الاركان الأساسية للانثروبولوجيا فإنه لا يمكن اعتبار القرن التاسع عشر فترة نضوج الانثروبولوجيا واستكمال عناصرها وانما هي فترة نشأة هذا العلم.

یربط الباحثون في مجال العلوم الاجتماعیة نشأة الأنثروبولوجیا بظاهرة الاستعمار الحدیث، فقد كانت نشأة هذه الأخیرة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر بما یتزامن مع هبة الدول الرأسمالیة الغربیة للبحث عن مجالات جدیدة وراء البحر من أجل تحصیل المادة الخام للمصانع المتزایدة في أوروبا، وبالمقابل تسویق ما أصبحت تنتجه هذه المصانع باستمرار، وبغض النظر عن الجذور التاریخیة للأنثروبولوجیا والتي تمتد في العصور القدیمة من خلال عملیات وصف ومقارنة الخصائص المختلفة للشعوب والأجناس، ذلك الذي مارسه هیرودوت الیوناني أو ابن بطوطة وابن خلدون من المسلمین خلال رحلاتهم المختلفة ومعایشاتهم لمختلف الأعراق البشریة، فإن میلادها بالمعنى " العلمي" كان متزامنا مع اشتداد عود الثورة الصناعیة في أوروبا، لقد كانت هذه الفترة مهدا لنشأة العلوم الاجتماعیة عموما، من أجل التصدي للمشكلات والظواهر التي أفرزتها تلك المرحلة، فإذا كان علم الاجتماع مثلا قد نشأ من أجل حل المشكلات الاجتماعیة التي برزت خلال الثورة الصناعیة داخل المجتمعات الأوروبیة، فإن الأنثروبولوجیا القریبة جدا من علم الاجتماع قد تم إنشاؤها وتطویرها بغرض فهم المجتمعات غیر الأوروبیة، من أجل مساعدة الأوروبیین على التوسع خارج أوروبا من خلال ظاهرة الاستعمار،

هذا ولقد كان الإنسان المختلف عن إنسان المركز" الإنسان الأوروبي" هو الذي هیأ الأساس الأول لعلم الإنسان، حیث كان هاجس تكوین معرفة بأولئك البرابرة والهمج والذین لم یعرفوا للحضارة سبیلا بعد، هو المسیطر على عقول الباحثین الأوائل في مجال الأنثروبولوجیا، هذا الذي یدل على أن الأنثروبولوجیا نشأت في سیاق حملات الاستعمار للبلدان والشعوب الأخرى حیث مثلت بامتیاز الدرع الأیدیولوجي الذي رافق السیف والبندقیة خلال

حملات السیطرة على الشعوب والأوطان،

فمنذ نهایة القرن التاسع عشر وبدایة القرن العشرین أصبحت ظاهرة الاستعمار تمثل رابطا حقیقیا بین مختلف الشعوب، فقد حدث منذ هذا التاریخ أن احتكت الحضارات المختلفة بعضها ببعض، وأخذت تبرز الفروقات الثقافیة المتنوعة لدى الشعوب، وشملت هذه الفروقات الممارسات والمعتقدات الدینیة والقیم الحضاریة والمسلك الاجتماعي، كما شملت أنماط العیش المتنوعة من مأكل وملبس ومسكن، مضافا إلیها الفروقات في التنظیم الاقتصادي والاجتماعي.

ومع سیادة النزعة التطوریة في تفسیر الظواهر خلال نشأة الأنثروبولوجیا استقر لدى الأوروبیین أن: الحضارة البشریة كلها تتطور حسب نظم وقواعد ثابتة وموحدة لاتتغیر باختلاف المكان والزمان، هذا یعني أن الشعوب البدائیة تمثل المراحل الأولى في التطور بالنسبة للمجتمعات المتقدمة، لتكون بذلك صورة المجتمعات البدائیة في إفریقیا وأسترالیا وأمریكا أصلا حضاریا للشعوب الأوروبیة المتقدمة.

یمثل هذا نوعا من " التبریر العلمي" لاندفاع الأوروبیین نحو فهم تركیبة وثقافة المجتمعات الأخرى، بما یظهر نوعا من التوافق بین الأنثروبولوجیا والاستعمار، بین أیدیولوجیة الاستعمار وأیدیولوجیة العلم الجدید (الأنثروبولوجیا)، لقد عمدت هذه الأیدیولوجیة التي ترتدي ثوب العلم إلى تسفیه ثقافة الشعوب الأخرى، باعتبارها ثقافة بدائیة تحتاج إلى تطویر، هذه الثقافة البدائیة التي تمثل الخرافة مقابل " الموضوعیة العلمیة" التي تبشر بها الأنثروبولوجیا، فعلى النظریة الأنثروبولوجیة أن تتحمل مسؤولیة إزاحة الخرافة من خلال تقدیم تفسیر " علمي" لها، " فالنظریة

الأنثروبولوجیة هي النظریة الوحیدة " المعقلنة " من هذه الزاویة.

وا لٕى جانب الشق الأیدیولوجي للاستعمار الذي یتم تبریره من قبل الأنثروبولوجیا، یتم أیضا وبالمقابل تبریر الشق القمعي له، فإذا امتاز الاستعمار بالعنف والنهب، فهوعنف " معقلن " أي أنه شرعي وضروري.

ویمكن الرجوع إلى الحضور اللافت والمدروس لبعض المقولات والمفاهیم عند بعض منظري الاستعمار مثل مفهوم " الحمایة" الذي یحل محل مفهوم الاستعمار لدى " روبیر مونتاني" الذي ركز دراساته في البلاد العربیة الخاضعة للاستعمار، مع الاهتمام بالمغرب كمیدان خصب للدراسة الأنثروبولوجیة، یلعب مفهوم الحمایة "على صعید الأیدیولوجیا الدور الذي یجعل ظاهرة الاستعمار مقبولة. ویعمل هذا المفهوم على هذا الصعید على تلمیع صورة الاستعمار، فالاستعماروا نٕ كان یمثل كیانا جدیدا (من الناحیة الاجتماعیة والثقافیة) إلى جانب الكیان المحلي، فإن ذلك مفید للمجتمعات التي تخضع للاستعمار، إن هذا الالتقاء یعبر عن صدمة حضاریة نتیجة اللقاء بین حضارتین مختلفتین، تتغیر إثرها البنى التقلیدیة للمجتمعات المستعمرة، بفعل قوة خارجیة تفرض ثقافة جدیدة وأنماطا من العلاقات جدیدة أیضا على كافة المستویات الاجتماعیة، إن النتیجة الفوریة لهذا الفرض من

الخارج أن التغیر المجتمعي الحادث على البنیات المجتمعیة لهذه المجتمعات التقلیدیة یسیر في تطوره بوتیرة غیر عادیة، فتجد هذه البنیات ذاتها مضطرة إلى أن تنتقل عبر جیل واحد أحیانا من مرحلة القبیلة إلى مرحلة المدینة ثم إلى مرحلة الدولة وهو الأمر الذي تطلب في حضارات أخرى قرونا من الزمن.

یدخل هذا ضمن أسطورة " التمدین " التي دأب منظرو الاستعمار على الاختباء خلفها من أجل التمكین لبقاء النظام الاستعماري والحفاظ على الوضع القائم، لقد كان للنظام الاستعماري منظروه الذین یعملون على توفیر المعرفة الكافیة بالشعوب المستعمرة كعامل أساسي للسیطرة، فالأبحاث الأنثروبولوجیة التي تمت على هذه الشعوب لم تكن منفصلة عن مخططات وأهداف الاستعمار، بل كانت موجودة في صلب هذه المخططات والأهداف، " لقد بدأت الهیمنة الاستعماریة تدرك أن حكم -الأهالي- لا یستقیم إلا بمعرفة معمقة للغاتهم وعاداتهم وتقالیدهم

وأخلاقهم، والعلوم الاجتماعیة الاستعماریة هي التي كانت تمد السلطات الاستعماریة بهذه المعرفة مثلما هي حال البلاد العربیة قد وجدت نفسها في صدام مع الحضارة الغربیة التي حلت على هذه الشعوب عن طریق الاستعمار، هذا الصدام تولد عن وعي هذه الشعوب بضرورة الحفاظ على هویتها التي تشكلت خلال قرون طویلة، وهنا یقترح مونتاني اتباع منهج تاریخي من أجل تشكیل معرفة بأصول بنیات هذه الشعوب، ومن أجل مقارنتها مع

بنیات المجتمعات الغربیة.

**المحاضرة الخامسة: أقسام الانثروبولوجيا**

قسم الانثروبولوجيون هذا العلم الى فروع رئيسية بحسب نظرتهم الى الانسان على الشكل التالي:

**أولا**: النظرة الى الانسان باعتباره كائن حي مخلوق ضمن المخلوقات الاخرى فظهر فرع الانثروبولوجيا الجسمية او الفيزيقية أو الطبيعية.

**ثانيا**: النظرة الى الانسان باعتباره اجتماعي بطبعه يعيش في جماعات مختلفة ساعدت على ظهور فرع الانثروبولوجيا الاجتماعية .

**ثالثا:** النظرة الى الانسان على اساس أنه حامل للثقافة وناقل لها عبر الاجيال ساعدت على ظهور فرع الانثروبولوجيا الثقافية.

وعليه فقد تعددت تقسیمات الانثروبولوجیا وفقا للمكان والزمان، وتبعا للتأثر بنظریات وسیاقات معینة مثلما هو علیه الحال عند استخدام تسمیة الانثروبولوجیا الاجتماعیة بدلا من الاثروبولوجیا الثقافیة في بریطانیا نتیجة للتأثر بالنظریة الوظیفیة لدى بعض الأنثروبولوجیین مثل " رادكلیف براون"، مقابل استخدام مفهوم الأنثروبولوجیا الثقافیة للدلالة على ذالك الفرع من الأنثروبولوجیا الذي یعنى بالجانب الاجتماعي والثقافي لدى الإنسان في أمریكا، وفي مقابل هذا یحظى جانب آخر له صلة بالعلوم الطبیعیة باهتمام الأنثروبولوجیین وهو الجانب الطبیعي والبیولوجي للإنسان، لترسخ الأنثروبولوجیا أهمیة هذا القسم الذي أصبح یدعى بالأنثروبولوجیا الطبیعیة (الفیزیقیة).

1**/الانثروبولوجيا الفيزيقية:** تعددت اسماؤها فمن انثروبولوجيا بيولوجية الى انثروبولوجيا فيزيقية وانثروبولوجيا طبيعية ...غير ان الشائع عند العرب هو اسم الانثروبولوجيا الفيزيقية والذي اراده الانثروبولوجيون تعريبا لمصطلح Anthropologie physique.

تعتبر الانثروبولوجيا الفيزيقية من أقدم فروع الانثروبولوجيا، وتعرف بأنها " العلم الذي یبحث في شكل الإنسان من حیث سماته العضویة، والتغیرات التي تطرأ علیها بفعل المورثات، كما یبحث في السلالات الإنسانیة من حیث الأنواع البشریة وخصائصها" ، ویرتبط هذا القسم بشكل واضح بالعلوم الطبیعیة وخاصة علم التشریح anatomiوعلم وظائف الاعضاء physiologie وعلم الحیاة biologie

وتعتبر نظریة التطور إحدى أهم النظریات التي یتم الاستناد إلیها في هذا القسم، وهي نظریة تشیر إلى أن الأجناس

والأنواع تتطور وتتغیر أجسامها ووظائف أعضائها خلال تكاثرها على مر العصور، ووفقا لهذه النظریة فإن جسم الإنسان قد تطور من أجناس بشریة أخرى، لذلك یمكن إیجاد شواهد دالة على هذا التشابه من الناحیة التشریحیة بین المخلوقات الحیة الیوم مثل التشابه بین جسم الأرنب وجسم القرد وجسم الإنسان العاقل، وقد خضع موضوع "التطور البیولوجي" للبحث العلمي بدایة من القرن التاسع عشر على ید تشارلز داروین وألفرد والاس.

إن معرفة الكیفیة التي تطور بها الإنسان من أسلافه، وعملیات التغیر المستمرة على جسم الإنسان هي المبرر للغوص في خصائص هذا الإنسان وتتبعه إلى عصور ما قبل التاریخ البعیدة لمعرفة إن كانت هناك أنواع أخرى غیر الإنسان العاقل، هذا الذي یتیح لنا معرفة كیف أصبح الإنسان تدریجیا مختلفا عن سائر الحیوانات، وكیف اكتسب السمات الجسمیة التي تمیزه اليوم.

ویمكن تقسیم الانثروبولوجیا الطبیعیة حسب طبیعة الدراسات إلى فرعین رئیسیین هما :

1. **فرع الحفریات البشریة :** ویتناول بالدراسة الجنس البشري منذ نشأته مرورا بمختلف مراحله التطوریة من خلال ما تدل علیه الحفریات والآثار، والهدف من هذا الفرع هو محاولة معرفة حیاة الإنسان البائد من خلال البقایا والآثار التي تدل علیه.
2. **فرع الأجناس البشریة :** ویتناول الصفات العضویة للإنسان البدائي –المنقرض- والإنسان

الحالي، ومقارنة الملامح والسمات العضویة لكلیهما.

لقد اهتم المختصون بالأجناس البشریة بتصنیف هذه الأجناس، غیر أن عملیة التصنیف بقیت وا لٕى وقت قریب قائمة على معیار العرق والاحتكام إلى بعض الخصائص السطحیة مثل لون الجلد وشكل الشعر. .الخ، لكن الاهتمام بدأ یتحول إلى فروق أكثر دقة مثل أنواع الدم والأجهزة العضلیة. .الخ، ثم إلى الفروق المتعلقة بالنضج الجنسي والمناعة ضد الأمراض. .الخ.

ويهتم الانثروبولوجيون الفيزقيون بالقيام بالبحوث والدراسات التي تلقي الضوء على كثير من المفهومات التي لم تكن معروفة من قبل والتي تميز مجالات عديدة داخل الفرع الهام من دراسات علم الانسان، ومن أهم هذه المجالات نذكر مايلي: علم العظام وعلم الاسنان ( تعد دراسة العظام والاسنان من اهم اهتمامات الانثروبولوجيا الفيزيقية نظرا لانها الاجزاء الرئيسية بالنسبة للحفريات، كما وانها تحكي قصة التطور فالجمجمة توضح شكل الفرد وحجم المخ، أما الهيكل العظمي فيحدد الشكل العام للجسم الانساني) علم الأجنة والنمو، علم الوراثة البيوكيميائية، البيولوجيا الجزئية ( تحديد اوجه التشابه والاختلاف بين الانسان وباقي المخلوقات الاخرى باستخدام بعض التحليلات البيولوجية مثل فصائل الدم وتحديد نسبة الهيموجلوبين) ...الخ.

**2/الانثروبولوجيا الاجتماعية:**

تعد الانثروبولوجيا الاجتماعية الفرع الثاني من أفرع علم الانسان، وهذا الفرع يعنى بدراسة الانسان من حيث أبعاده الاجتماعية كذات اجتماعية فاعلة ومتفاعلة مع المجتمع بكل محطاته ومظاهره المادية والمعنوية، وتهتم الانثروبولوجيا بصورة عامة بالأنظمة والعلاقات والبناءات والمؤسسات والأنشطة الاجتماعية سواء داخل المجتمع الواحد أو ضمن عدد المجتمعات المتشابهة أو التي خضعت لنفس المنطق الاجتماعي وذلك بغية تحديد ماهية البناءات الاجتماعية ومدى تأثيرها في النمط المعيشي للانسان.

لا يمكن الحديث عن الانثروبولوجيا الاجتماعية دون الذكر والاشادة بمؤسسيها الاوائل في بریطانیا **مالینوفسكي** **وراد كلیف براون** بعد أن استفادا من تراث علماء الاجتماع الأوائل، إن التقارب الكبیر بین علم الاجتماع والأنثروبولوجیا الاجتماعیة هو الذي جعل رادكلیف براون یصرح خلال أحد خطاباته بالمعهد الأنثروبولوجي الملكي أنه" على استعداد تام لتسمیة هذه المادة بعلم الاجتماع المقارن إذا أراد أي فرد ذلك. "

وتهتم الأنثروبولوجیا الاجتماعیة بتحلیل البناء الاجتماعي للمجتمعات الإنسانیة وخاصة المجتمعات شبه البدائیة التي یبدو التكامل والوضوح سمة واضحة في بنائها الاجتماعي.

وتستند الأنثروبولوجیا الاجتماعیة ل" النظریة الوظیفیة " التي یتزعمها رادكلیف براون والتي تتأسس على أن النظم الاجتماعیة في مجتمع ما هي نسیج متشابك من العناصر التي یؤثر بعضها في البعض الآخر بما یشكل وحدة كلیة تسمح للمجتمع بالبقاء والاستمرار، وما هو جدیر بالذكر أن الأنثروبولوجیا الاجتماعیة لا تهتم كثیرا بتاریخ النظم ولكن بتحدید وظیفة النظام الاجتماعي الواحد في البناء الاجتماعي الكلي.

ویعتبر مفهوم البناء الاجتماعي مفهوما محوریا في الأنثروبولوجیا الاجتماعیة والنظریة البنائیة الوظیفیة، وبتحلیل هذا البناء یمكن الوقوف على بعض المفاهیم الأخرى التي تحظى بمكانة كبیرة ضمن هذا السیاق، ومن هذه المفاهیم مفهوم : المكانة والدور، " فالمكانة هي مركز الشخص بالنسبة لمركز غیره ممن له معهم علاقات اجتماعیة مثل : الإبن، الناظر، الزوج...، كذلك یهتم الباحث الأنثروبولوجي بالطریقة التي یحدد بها المجتمع الأدوار التي یقوم بها الناس .وتتضمن الأدوار مستویات القیادة والأمر والجماعة والطاعة والتعاون. .الخ

إن الانطلاق من فكرة " البناء الاجتماعي" في التحلیل تحیل إلى أمر أساسي وهو أن الأنثروبولوجي الاجتماعي ینطلق في عملیة التحلیل من المجتمع ولیس الثقافة، وان كان تحلیله یشمل عادات وتقالید الجماعات وأنماط معیشتها، غیر أن تمثل وتصور عملیة الانطلاق في التحلیل من المجتمع كوحدة یحیل بالضرورة إلى الاهتمام والتركیز على قضیة العلاقات القائمة بین أفراد الجماعة وكیفیة انتظامها في جوانب حیاتها المختلفة.

**3/الانثروبولوجيا الثقافية:**

یهتم هذا الفرع من الأنثروبولوجیا بدراسة الثقافة لدى مجتمع أو جماعة معینة، والثقافة في أبسط معانیها تشیر إلى مختلف أنماط العیش والتفكیر والسلوك والإبداع داخل أیة جماعة، سواء كانت هذه الجماعة تنتمي إلى مجتمع بدائي أو إلى مجتمع متقدم، وبواسطة الثقافة یستطیع أفراد المجتمع أن یشبعوا حاجاتهم ومتطلباتهم الحیاتیة، لذلك كانت الثقافة ذات أهمیة لعالم الانثروبولوجیا، بل إنها تمثل الموضوع الجوهري في علم الإنسان على وجه العموم.

إن أهمیة الثقافة من جهة وتعدد جوانبها (المادية والمعنوية) من جهة ثانیة جعل الأنثروبولوجیا الثقافیة تتفتح على بعض الفروع الدراسیة الجزئیة مثل الإثنوغرافیا والإثنولوجیا وعلم الآثار واللغویات، وهذه الفروع تصنف باعتبارها تابعة للانثروبولوجیا الثقافیة، على الرغم من أننا نجد نوعا من التقارب بین هذه الفروع جمیعا -كما اشرنا الى ذلك في محاضرة سابقة-، إذ أنها تعنى جمیعها بالمجتمعات والشعوب لكن كل واحدة تتناولها من جانب معین، فنجد مثلا الإثنولوجیا تتناول بالدراسة ثقافة المجتمع من لغة وعادات ودین ونظام سیاسي واقتصادي. .الخ بشيء من التعمق وا جٕراء المقارنات بین الأجزاء والجماعات المختلفة مقابل الإثنوغرافیا التي تكتفي بوصف ثقافة هذه الجماعات، وقد اتفق معظم العلماء على إطلاق اصطلاح إثنوغرافیا على الدراسة التي تقتصر على وصف ثقافة مجتمع معین،وبالإضافة إلى الإثنوغرافیا والإثنولوجیا یعتمد الباحث في مجال الأنثروبولوجیا الثقافیة على علم الآثار –الأركیولوجیا-بهدف الوصول إلى حقائق عن ثقافات الشعوب الغابرة التي ليس لدينا عنها تاريخ مكتوب ، ویعتمد علم الآثار على بقایا الإنسان القدیم والتي تدل على ثقافته وتكشف عن الكثیر من المعلومات المتصلة بثقافة هذا الإنسان واتصالاته المختلفة، ووسائل عیشه التي تدل على مستوى العیش والتفكیر لدیه، ومن هذه الآثار یمكن الحدیث عن الآثار الصخریة والأواني الفخاریة والأقواس والسهام القدیمة. ..الخ، هذه التي تدل على عناصر الثقافة المادیة والتي تسلم أیضا إلى مستوى وطریقة تفكیر الإنسان القدیم، ومن أجل هذا اعتبر علم الآثار أحد الفروع المهمة في الأنثروبولوجیا الثقافیة.

وینقسم علم اللغویات إلى قسمین أساسیین هما :

**- علم اللغویات الوصفي :** ویهتم بتحلیل اللغات في زمن محدد، وبدراسة النظم الصوتیة وقواعد اللغة والمفردات، كما یهتم باللغة الكلامیة وخاصة اللغات الكلامیة التي لم تكتب بعد، وتتركز معظم دراسات هذا العلم في المجتمعات البدائیة التي لا تعرف القراءة والكتابة ولكنها ذات لغة كلامیة.

**- علم أصول اللغات** : ویهدف هذا القسم إلى تحدید أصول اللغات الإنسانیة، فالباحث في مجال أصول اللغات یهتم بالجانب التاریخي والمقارن حیث یتناول العلاقات التاریخیة بین اللغات التي یمكن متابعة تاریخها عن طریق وثائق مكتوبة، أما اللغات القدیمة التي لا تتوفر على وثائق مكتوبة فیستعمل الباحث وسائل وتقنیات خاصة لبحث تاریخ تلك اللغات.

وخلاصة القول، ان الانثروبولوجيا الثقافية هي الدراسة الوصفية والتحليلية لمظاهر الثقافة بكل عناصرها المادية والمعنوية من حيث الطرح الاجتماعي والعقائدي والسياسي والاقتصادي والديني والنفسي والفني، فهي تهتم بكل ما صنعه وابدعه وابتكره الانسان لتلبية حاجاته المادية والمعنوية.

**المحاضرة السادسة: الانثروبولوجيا –الموضوع والهدف-**

**1/ موضوع الأنثروبولوجیا:**

تتخذ الأنثروبولوجیا من الإنسان بكل نواحیه موضوعا أساسیا لها، فإذا كان جسم الإنسان في ذاته ونشأته وتطوره هو موضوع الانثروبولوجیا الفیزیقیة، فإن علاقات الإنسان وسلوكه ومختلف التفاعلات التي تنتج عن اتصاله بالآخرین هي موضوع الأنثروبولوجیا الاجتماعیة والثقافیة، وقد عمد الأثروبولوجیون الأوائل إلى دراسة المجتمعات البدائیة البسیطة في تركیبتها وثقافتها فكان المجتمع البسیط والذي وصف بالبدائي هو الموضوع الأساسي الذي وجهت إلیه أنظار الأنثروبولوجیین قبل أن یتجهوا لدراسة المجتمعات صغیرة الحجم و إن كان ذلك من حیث

الزمان والمكان ضمن المجتمعات المعاصرة.

كان هناك نوع من التردد من أجل أن تعلن الأنثروبولوجیا أن موضوعها هو المجتمع بأنماطه المختلفة وفي مختلف الأنماط الاجتماعیة والثقافیة، وفي هذا الصدد نذكر أن **رادكلیف براون** مثلا حدد مجال دراسة الأنثروبولوجیا في مقال له عن المنهج عام 1923 بالمجتمعات البدائیة لكنه عاد سنة 1944 لیجعل من جمیع أنماط المجتمع الإنساني مجالا للدراسة في الأنثروبولوجیا الاجتماعیة، وهو نفس الموقف الذي أبداه **إیفانز بریتشارد** الذي رأى بأن الأنثروبولوجیا هي" فرع من الدراسات الاجتماعیة یتخذ من المجتمعات الإنسانیة جمیعا بأنماطها ( المختلفة) موضوعا له، وإن كان یركز على دراسة النمط التقلیدي منها.

والواضح أن الموضوع الأساسي للأنثروبولوجیا الاجتماعیة والثقافیة إجمالا یتراوح بشكل خاص بین الاتجاه لدراسة البناء الاجتماعي ومختلف النظم والأنساق الفرعیة التي تكونه ووظیفة هذه النظم، إضافة إلى دراسة الثقافة بمكوناتها المختلفة، وفیما یلي نحاول أن نورد بعض هذه الموضوعات:

**أ الثقافة :**

يعد مصطلح الثقافة من المصطلحات الهامة في الانثروبولوجيا الثقافية ولقد اختلف علماء الانثروبولوجيا حوله بالرغم من شيوع استخدامه في كثير من الدراسات الاجتماعية والثقافية، وقد قام كل من كروبر وكلكهون في عام 1915م بحصر أكثر من مائة وخمسين تعريفا مختلفا للثقافة.

في الحقيقة لقد اختلفت الأبحاث وكذا المدارس الفكرية في تحديد معنى الثقافة وذلك بتعدد الأبعاد التي يمكن من خلالها وضع تعريف دقيق لها، فهناك اختلاف بين المعنى القديم والحديث، وبين المعنى العام والأكاديمي يقصد به المعرفة الأكاديمية التي تغيب عن أذهان العامة ، وبين تعريف الانثروبولوجي عن الاثنولوجي وعن غيرهما من العلماء...، ومن هنا يتضح تضارب في تحديد معنى المفهوم بدقة.

و تعتبر الثقافة عنصرا أساسيا في حياة الأفراد والمجتمعات، وهي نتاج اجتماعي وملك وراثي لأفراد المجتمع كافة، وهي تشمل فيما تشمله عادات وتقاليد ومعتقدات وقيم وفنون وآداب...الخ، وهي كما عرفها **الجابري** " ذلك المركب المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلعات التي تحتفظ لجماعة بشرية ، تشكل أمة أو ما في معناها، بهويتها الحضارية، في إطار ما تعرفه من تطورات بفعل ديناميتها الداخلية وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء، وبعبارة أخرى هي المعبر الأصيل عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم، عن نظرة هذه الأمة إلى الكون والحياة والموت والإنسان ومهامه وقدراته وحدوده، وما ينبغي أن يعمل وما لا ينبغي أن يأمل" وبما أنها ملك مجتمعي فهي قادرة على الانتقال من جيل لآخر من خلال عمليات التثقيف والتنشئة الاجتماعية،

**\*\* مفهوم الثقافة :** تشیر الثقافة بالمعنى الأنثروبولوجي إلى كل ما ینتجه الإنسان خلال تفاعله مع الآخرین، كما أنها تعبر عن أسلوب الحیاة لدى جماعة معینة، والحقيقة أن أجود وأشهر تعريف للثقافة هو تعريف العالم الانثروبولوجي **ادوارد تايلور** حيث اعتبر بأنه وافر الشرحوالذي عرفها" بأنها ذلك الكل المركب الذي يحوي على المعرفة والاعتقاد والفن والأخلاق والقانون والعرف والعادات والتقاليد وأي قدرات أخرى تكتسب بواسطة الإنسان باعتباره عضوا في المجتمع.

ومجمل القول أن الثقافة هي مفهوم مركب، وتشمل الثقافة فيما تشمله كل ما يتلقاه الفرد عن الجماعة من مظاهر الفنون والعلوم والمعارف والعقائد والقيم، وهي ظاهرة موضوعية أي مستقلة عن إرادة الفرد فهي تفرض نفسها من الخارج، ذلك أنها وسيط بين المجتمع والفرد فلا يمكن فهم هذا الأخير إلا بالعودة إلى وسطه.

ویقوم بعض الباحثین بتقسیم الثقافة وفقا لتجانس عناصرها، ومدى سعة أو ضیق ذلك التجانس، فتقسم عناصر الثقافة بناء على هذا الأساس إلى :

**- عمومیات :**وتشیر إلى مجموع الأفكار و العادات و التقالید و الاستجابات العاطفیة المختلفة و أنماط السلوك و طرق التفكیر التي یشترك فیها جمیع أفراد المجتمع، أي أن العمومیات هي تلك العناصر الثقافیة التي تسود المجتمع الكبیر بجماعاته وطبقاته و فئاته المختلفة.

**- خصوصیات :**وتشیر إلى مجموع العادات القیم والأنظمة الأسالیب التي یختص بها حزب أو فئة أو طبقة محددة في المجتمع، وتعمل على ممارستها بشكل واضح دون غیرها من الطبقات الاجتماعیة الأخرى.

**-متغیرات بدائل :** وتشیر إلى تلك العناصر الثقافیة التي تدخل على الثقافة بعمومیاتها وخصوصیاتها فتحدث فیها تغییرا، ویكون ذلك من خلال عملیات الاتصال الثقافي المختلفة، غیر أن الواضح هو أن المتغیرات المتصلة بالجوانب المادیة أسهل في استقرارها عند اتصالها بالعمومیات أو الخصوصیات نتیجة تقبلها من قبل الأفراد، على

عكس المتغیرات المعنویة التي یصعب استقرارها وتقبلها نتیجة اتصالها بالعادات والقیم والقناعات والاتجاهات الفكریة لدى الأفراد.

**\*\*وظیفة الثقافة :**

یرى مالینوفسكي أن الوظیفة الأساسیة للثقافة هي إشباع الحاجات الأساسیة للأفراد، فالطبیعة البیولوجیة للإنسان تستدعي حاجات كثیرة متصلة بالأكل والشرب واللباس والجنس. .الخ، لذلك كانت الثقافة هي الكیفیة التي تشبع بها هذه الطبیعة، فالجوع یقابله أكل والبرد یقابله لباس. .الخ،وا ذٕا استطاع الإنسان تلبیة حاجاته الأساسیة من خلال الثقافة، یمكن له ومن خلال الثقافة دائما أن یلبي حاجاته الثانویة والتي تترقب بدورها الإشباع ثقافیا، فحسب مالینوفسكي لا یجد الإنسان إلا أن یجد حلا للمشاكل التي تنبع من حاجاته الأساسیة كالحاجة إلى الطعام والحاجة إلى الإشباع والٕى الوقایة من الخطر وذلك من خلال إیجاد بیئة ثانویة أو صناعیة، وهذه البیئة لیست سوى الثقافة.

وفي هذا السیاق یمكن الإشارة إلى أن النظم الاجتماعیة المختلفة كالنظام الاقتصادي والدیني والسیاسي. .الخ إنما وجدت من أجل إشباع الحاجات التي یتطلبها كل نظام من هذه النظم، فنظام الاقتصاد مثلا جاء لتلبیة حاجات الإنتاج والاستهلاك. .والنظام الدیني جاء لتلبیة الحاجات المتصلة بالجانب الروحي وهكذا. ..

ویمیز البعض بین وظیفتین هامتین للثقافة هما:

**الوظیفة الاجتماعیة** :وتتضمن تجمیع الناس في عالم عقلي أخلاقي مشترك یشعرهم بانتمائهم الواحد فتضمن من خلال هذا استمرار ووحدة المجتمع، كما تزود الأفراد بالأهداف والآمال وتقدم لهم تفسیرات مسلم بها عن المحیط والعالم.

**- الوظیفة النفسیة :** وترمي إلى قولبة شخصیات الأفراد من خلال تزویدهم بأنماط السلوك وتمكینهم من طرق التعبیر عن العواطف والانفعالات.

**\*\* خصائص الثقافة :**

هناك العدید من الخصائص التي تمیز الثقافة لعل أبرزها أنها:

**-** الثقافة اجتماعیة ومكتسبة : تكتسب من المجتمع عن طریق التعلم.

**-** الثقافة إنسانیة : أنها من سمات الإنسان دون غیره من الكائنات.

**-** الثقافة انتقالیة : تنتقل بین المجتمعات والأجیال.

**-** الثقافة أفكار وأعمال : فهناك جانب روحي فكري للثقافة وجانب مادي ملموس.

**-** الثقافة متنوعة الشكل مختلفة المضمون : فلكل مجتمع لغة ودین وعادات لكن هناك

اختلاف في طبیعة هذه العناصر بین المجتمعات.

**-** الثقافة متغیرة : فالثقافة تتغیر من خلال عملیات الاتصال والاحتكاك الثقافي وعملیات

التعدیل والتطور.

**ب/البناء الاجتماعي:**

یعتبر مفهوم البناء الاجتماعي من المفاهیم الأساسیة المستخدمة في الدراسات الانثروبولوجیة، بل ویعتبر البناء الاجتماعي بمثابة الموضوع الأساسي خاصة في مجال الأنثروبولوجیا الاجتماعیة، ولعل الفكرة الأولى التي یمكن تكوینها عن البناء الاجتماعي هو ذلك الاطار الذي یجمع كافة النظم ومختلف أشكال العلاقات الإنسانیة في شكل منظم ومرتب.

وحسب موسوعة علم الإنسان فإن مفهوم البناء الاجتماعي " یستخدم عموما للإشارة إلى ملامح التنظیم الاجتماعي بما یضم من نظم اجتماعیة وأدوار ومكانات، والتي من شأنها أن تضمن استمرار أنماط السلوك الاجتماعي والعلاقات الاجتماعیة عبر الزمن ".

وبهذا یدل مفهوم البناء الاجتماعي على تلك الآلیات التي یمكن من خلالها ضمان استمرار التركیبة الاجتماعیة بما هي علیه من خصائص وسمات بما یؤدي إلى إعادة الإنتاج الاجتماعي بتعبیر الاتجاه الماركسي، وقد ارتبط مصطلح البناء الاجتماعي في المجال الأنثروبولوجي بأعمال الأنثروبولوجیین البریطانیین وعلى رأسهم رادكلیف براون.

**- البناء الاجتماعي عند رادكلیف براون :** ینظر براون إلى البناء الاجتماعي باعتباره شبكة من العلاقات الاجتماعیة التي تجمع بین شخصین أو أكثر مثل ما هو علیه الحال في نظام القرابة من خلال العلاقات الثنائیة التي تجمع مثلا بین الأب وابنه والأخ وأخته. وكذلك عملیات التمییز القائمة بین الأفراد على أساس الدور الاجتماعي مثل دور النساء ودور الر جال والزعماء. .الخ.

**- البناء الاجتماعي عند إیفانز بریتشارد :** كانت نظرة بریتشارد مخالفة نوعا ما لنظرة براون في قضیة تشكل البناء الاجتماعي من العلاقات الثنائیة، فعلى عكس براون ذهب بریتشارد إلى أن البناء الاجتماعي یتشكل من تلك العلاقات التي تقوم بین الجماعات التي تتمتع بدرجة عالیة من الثبات والاستمرار في المجتمع مثل القبائل والعشائر. ..الخ، فبریتشارد – وعلى عكس براون – یرى أن الأسرة لا تتمتع بتلك الدرجة من الثبات والاستمرار، ذلك أن أفرادها مثل الزوج والزوجة یكبرون ویموتون، وكذلك الأولاد یكبرون ویكونون أسرا مستقلة جدیدة. .الخ أما الوحدات القبلیة مثلا فإنها تستمر في الوجود. .، إضافة إلى أن العلاقات الثنائیة هي علاقات سریعة سرعان ما تتغیر باختلاف المصالح ولكن العلاقات التي تجمع الجماعات القبلیة هي علاقات ثابتة نسبیا، وهي تفرض أنواعا محددة من التعاون والتساند إزاء الجماعات الأخرى.

ویرتبط مفهوم البناء الاجتماعي بكل من مفهوم النظام الاجتماعي و النسق الاجتماعي، فإذا كان البناء الاجتماعي هو ذلك الكل المركب من أجزاء منتظمة حیث تمثل هذه الأجزاء مختلف أنماط السلوك و الظواهر، فإن النسق یشیر على نحو ما یرى تالكوت بارسونز إلى " وجود نوع من التساند والاعتماد المتبادل الذي یهدف إلى تحقیق وظائف معینة أیضا بین عدد من الأفراد أو الزمر الاجتماعیة الذین یقومون بأدوار مرسومة ومحددة"

ویرتبط البناء في استمراره بالوظیفة التي تؤدیها مختلف أجزائه أي نظمه المختلفة التي تشكله فالنظام السیاسي مثلا إضافة إلى النظام الاقتصادي ونظام القرابة والدین. .الخ، كلها تؤدي وظائف لیتمكن من خلالها هذا البناء من الاستمرار والبقاء، وتشبه الوظائف التي تؤدیها أجزاء البناء الاجتماعي تلك التي تؤدیها أجزاء الكائن الحي، لذلك كانت محاولة فهم البناء الاجتماعي من منطلق الوظیفة التي تؤدیها النظم المختلفة وبتأثیر واضح من الدراسات البیولوجیة، وعلى وجه العموم فإن وظائف النظم المختلفة تتجلى في مختلف العلاقات والتفاعلات الاجتماعیة ومختلف صور الأدوار والمكانات الاجتماعیة والتي تشكل في الأخیر دعامة أساسیة لبقاء واستمرار البناء الاجتماعي.

**نظام القرابة :**

یعتبر نظام القرابة من الموضوعات الأساسیة في مجال الانثروبولوجیا، فهو المجال الذي بمقتضاه یمكن التعرف على علاقات الاتصال من خلال قنوات الأسرة والزواج ومختلف القوانین التي تحكمها، لذلك یعتبر الزواج ونظام الأسرة إحدى أهم النظم الداخلة في تشكیل النظام القرابي العام.

لقد شكلت القرابة موضوعا أساسیا للانثروبولوجیا منذ نشأتها خاصة عندما نشر لویس مورغان مؤلفه "أنساق قرابة الدم والمصاهرة " عام 1870 ، كما كانت محل اهتمام من قبل مختلف أعلام الأنثروبولوجیا الآخرین مثل براون وبریتشارد ومارسیل موس، ووصولا إلى الأنثروبولوجیین المتأخرین من أمثال كلود لیفي ستروس الذي ساهم في إثراء الحقل الأنثروبولوجي من خلال تحلیلاته للعدید من الموضوعات وعلى رأسها موضوع القرابة، ویعتبر كتابه " البنى الأساسیة للقرابة" الذي نشره أول مرة عام 1949 خیر دلیل على ذلك.

ویتم تحلیل القرابة من خلال " مصطلحات القرابة" بتصنیفها وفقا لبعض أسس التصنیف المتداولة وتحلیل أنماط الزواج وأنواع الأسر. .الخ.

**أ- مصطلحات القرابة :** یرى "كروبر" أن مصطلحات القرابة یمكن أن تنقسم إلى قسمین رئیسیین، وذلك من خلال استخدام المجتمعات الإنسانیة لهذه المصطلحات تبعا لذلك فإن هذین القسمین هما :

**-** مصطلحات القرابة التصنیفیة -الطبقیة :- و هي تتأسس على الفئات و الطبقات العمریة فهناك طبقة الأجداد و طبقة الأبناء و طبقة الأحفاد، كما یتأسس هذا التصنیف على ملاحظة أساسیة وهي إمكانیة إطلاق اصطلاح " "أب " مثلا على جیل بكامله ممن هم في جیل واحد.

**-** مصطلحات القرابة الوصفیة –التخصصیة- : و تتأسس على الوصف الحقیقي للعلاقة القرابیة دون تصنیف فهناك الأب و الأم و الأخ و الأخت. ..، فالمصطلح القرابي هنا یستخدم للدلالة على قریب واحد بالذات.

**ب- بعض أسس التصنیف القرابي:** ویمكن تصنیف القرابة ومصطلحاتها وفقا لبعض الأسس مثلما یرى ألفرد كروبر فیما یلي :

**-** الجیل : ویشیر إلى جیل الآباء والأجداد أو الإخوة والأخوات. ..

**-** العمر : ویتم التصنیف هنا بناء على السن، فهناك كبار السن مثل الأجداد وهناك الآباء والأبناء، وهناك إخوة كبار وا خٕوة صغار..الخ.

**-** الأقارب المباشرون والأقارب غیر المباشرون : فالأقارب المباشرون هم الذین نجدهم على خط النسب المترابط مثل : جد – أب – إبن – إبن الإبن....، أما غیر المباشرون فیمثلون علاقة قرابیة بشكل غیر مباشر، أي بتوسط أشخاص آخرین مثل : الإبن وابن العم وابن الخال. .الخ.

**-** الجنس :ویشیر إلى التصنیف على أساس جنس الشخص ذكر – أنثى.

**-** نوع المتكلم : تختلف الصفة القرابیة باختلاف المخاطب فالزوج الذي یخاطب زوجته یختلف عن الإبن الذي یخاطب أمه. .الخ.

**-** القرابة الدمویة وقرابة المصاهرة : هناك فرق بین القرابة القائمة على رابطة الدم كعلاقة الابن مع أبیه أو عمه، وهناك علاقة المصاهرة والتي أساسها الزواج بین رجل وامرأة وما من یترتب علیها من علاقات قرابیة بالنسبة لأولادهما. .الخ.

وفي تحلیل النظام القرابي یتم الرجوع إلى الأنماط المختلفة للزواج وأنواعه، وتصنیف الأسر وأنواعها، ففي مجال الزواج نجد أن هناك عنصرین بارزین هما :

**- الزواج الداخلي -الزواج من داخل الجماعة القرابیة-** : وفیه یتعین على الرجل أن یتزوج من داخل الجماعة القرابیة التي ینتمي إلیها.

**الزواج الخارجي :** وفیه یتعین على الرجل أن یتزوج من خارج الجماعة القرابیة التي ینتمي إلیها.

أما الأسرة فنجد أنها تتكون بدورها من عدة أنماط، لكن أبرزها مثلما یرى " میردوك" ثلاثة وهي:

**- الأسرة النوویة:** وهي النواة أو الخلیة الأولى للمجتمع الإنساني، وتتكون من الزوج والزوجة والأبناء، وتسمى أیضا الأسرة "الزواجیة" أو "الأسرة الصغیرة ".

**- الأسرة متعددة الأزواج أو الزوجات :** وهي تجمع عائلتین صغیرتین أو أكثر بشرط أن یكون إما الزوج أو الزوجة مشتركا في أكثر من أسرة صغیرة واحدة، وحسب الدراسات التي قام بها " میردوك " فإن الأسرة متعددة الزوجات هي الأكثر انتشارا من الأسرة متعددة الأزواج.

**- الأسرة الممتدة :** وتتكون على الأقل من عائلتین صغیرتین بحیث تكون إحداها امتدادا للأخرى، وهي تشكل أجیالا كجیل الأجداد والآباء والأحفاد.

وأخیرا فإذا كانت موضوعات الثقافة والبناء الاجتماعي ونظام القرابة موضوعات أساسیة للدراسة الأنثروبولوجیة، فإن هناك موضوعات أخرى لا تقل عنها أهمیة مثل النظام الدیني والنظام السیاسي والنظام الاقتصادي. .الخ، وهي كلها محل للدراسة في مجال الأنثروبولوجیا.

**2/ الهدف من الدراسة في مجال الأنثروبولوجیا:**

ومن خلال دراسته لهذه الموضوعات فإن علم الإنسان یسعى إلى تحقیق جملة من الأهداف لعل أهمها :

**-** وصف مظاهر الحیاة البشریة والحضاریة وصفا دقیقا، وذلك عن طریق معایشة الباحث للجماعة المدروسة، وتسجیل كل ما یقوم به أفرادها من سلوكات في تعاملهم في الحیاة الیومیة.

- تصنیف مظاهر الحیاة البشریة والحضاریة بعد دراستها دراسة واقعیة، وذلك للوصول إلى أنماط إنسانیة عامة، وفي سیاق الترتیب التطوري لعلم الإنسان " بدائي – زراعي- صناعي- معرفي- تكنلوجي"

**-** تحدید أصول التغیر الذي یحدث للإنسان، وأسباب هذا التغیر وعملیاته بدقة علمیة. وذلك بالرجوع إلى التراث الإنساني، وربطه بالحاضر من خلال المقارنة،وا یٕجاد عناصر التغییر المختلقة.

**-** استنتاج المؤشرات والتوقعات لاتجاه التغییر المحتمل في الظواهر الإنسانیة / الحضاریة التي تتم دراستها، والوصول بالتالي لإمكانیة التنبؤ بمستقبل الجماعة البشریة التي أجریت علیها الدراسة.

**3/ خصائص الأنثروبولوجیا و أهمیتها في العصر الحالي:**

وتكمن أهمیة الأنثروبولوجیا فیما یمیزها من خصائص ولعل ما یمیز علم الإنسان عموما وعلى اختلاف التسمیات المتداولة بین المدارس المختلفة هو اتجاهه لدراسة المجتمع ككل دون التركیز على جانب واحد فقط، وتعتبر هذه الخاصیة إحدى أهم ما یمیز علم الإنسان عن العلوم الاجتماعیة الأخرى التي تركز على جانب واحد فقط مثل علم الاجتماع والنفس والسیاسة. .الخ، فهو یتمیز " بالنظرة الكلیة الشاملة، أي المنهج الكلي التكاملي الذي یهدف إلى تحدید جمیع عناصر الثقافة في مجتمع ما، أي أن الأنثروبولوجي علیه إذا اتجه لدراسة مجتمع معین أن

یحیط بكل جوانبه المادیة والمعنویة، فینظر في طریقة عیش الجماعة المدروسة وطرق تفكیرها، ومختلف طقوسها وعاداتها وتقالیدها، وكیفیة بناء مساكنها وطریقة لباس أفرادها، وأنماط الحكم لدیها...الخ، غیر أن الإحاطة بكل هذه الجوانب یتطلب من الأنثروبولوجي أن یتناول بالدراسة مجتمعا مصغرا یتمیز ببساطة تركیبته وعلاقات أفراده، لأن دراسة المجتمعات المعقدة في كلیته أمر غیر ممكن، لذلك نرى تعددا للعلوم الاجتماعیة التي یهتم كل واحد منها بجانب واحد فقط من هذه الجوانب، هذا الذي جعل علم الإنسان یتجه في بدایاته الأولى لدراسة المجتمعات البدائیة التي تمثل البساطة في بنائها وعلاقاتها، " فقد اهتم الأنثروبولوجیون الأوائل بدراسة مظاهر الحیاة الاجتماعیة

للمجتمعات البدائیة إذ اجتذبتهم غرابة تلك المجتمعات واختلافها عن المجتمعات الأخرى وبخاصة المجتمعات الأوروبیة. ..فكان أهم ما یبحثون عنه هو اللغات والعادات الغریبة التي تختلف وتتناقض مع لغات وعادات مجتمعاتهم الأوروبیة المتمدینة، وأصبح هذا تقلیدا على ممر السنین .

غیر أن القول بتمیز الأنثروبولوجیا بدراسة المجتمعات البدائیة مقابل تخلیها عن المجتمعات المتمدینة (المعقدة) لصالح العلوم الاجتماعیة الأخرى كعلم الاجتماع والاقتصاد والسیاسة أصبح مجانبا للحقیقة في الوقت الراهن، " حیث انتشرت الدراسات الأنثروبولوجیة الخاصة بالمجتمعات المتمدینة وخاصة القرى، وكذلك بعض الدراسات المختصة بتحدید معالم حضارات المجتمعات المتقدمة مثل المجتمع الأمریكي والروسي والصیني، وقد بحث بعضهم في عملیات الصراع أو الامتزاج بین الحضارات المتقدمة التي تتلاقى في حالات الهجرة أو الحروب ".

إن نزول الأنثروبولوجي إلى عمق هذه المجتمعات البسیطة أو " شبه البدائیة" من أجل دراستها في مختلف جوانبها البنائیة والوظیفیة یسلم إلى خاصیة جوهریة لدى هذا العلم، وهي التركیز على الدراسة الحقلیة والمیدانیة، فعلم الإنسان یقوم بجمع معطیاته من المیدان من خلال عملیات الوصف والمقارنة التي یقوم بها الأنثروبولوجي لمختلف طرق العیش والتفكیر والعادات والسلوكات والطقوس والمظاهر التي تمیز الجماعات المدروسة، لذلك كانت عملیة

الوصف والمقارنة أیضا إحدى الخصائص الجوهریة لعلم الإنسان.

**المحاضرة السابعة: التیارات والنظریات الأساسیة في الأنثروبولوجیا**

يمكن حصر أهم الاتجاهات و النظریات الاساسية في علم الانثروبولوجيا في ما یلي :

**1/الاتجاه التطوري**: يرجع المؤرخون تاريخ نشأة الاتجاه التطوري الى الفترة الممتدة ما بين 1860-1900 مستلهمين في ذلك نتائج الدراسات الداروينية، في المجال البيولوجي التطوري، والتي يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

* ان جميع اشكال الحياة تتغير وتنتج أشكالا جديدة باستمرار.
* بعض هذه الاشكال أكثر ملائمة مع الظروف البيئية من غيرها.
* ان الاشكال الاكثر ملائمة للبقاء والحياة تبقى وتستمر، اما الاخرى فيقضى عليها.

لقد تفاعلت المعارف الانسانية والاجتماعية مع النظرية الداروينية تفاعلا مثمرا ومفيدا، حيث استلهمت من اطروحات داروين مبدأ تطور الاشكال وانتقالها من حالة الى اخرى، واجتهد العلماء في المجال الانساني والاجتماعي في مقاربة موضوعاتهم مقاربة تطورية حيث اصبح الاعتقاد الراسخ أن كل ظاهرة موضوع الدراسة لابد من معرفة اصولها وكيفية نشاتها ومراحل تطورها ومتابعة مساراتها المختلفة.

وقد كان للاتجاه التطوري الفضل في احتضان الانثروبولوجیا حین نشأتها خلال القرن ال 19 م، فقد كان هم الأنثروبولوجیین آنذاك هو فهم الكیفیة التي تنشا وتتطور من خلالها المجتمعات وثقافاتها، فموضوع البحث الأساسي بالنسبة للتطوریین هو التفسیر التاریخي لمختلف المراحل التي مرت بها البشریة من خلال اكتشاف القوانین التي أتاحت عملیة الانتقال من مرحلة إلى أخرى، وكان التطوریون یعتقدون بوجود مسیرة خطیة واحدة تسیر وفقها المجتمعات البشریة، وأن كل مجتمع لابد له من الانتقال من مرحلة إلى أخرى دون مواجهة أشكال أخرى من التطور، لكن هذه النظرة لم تكن شاملة لجمیع التطوریین، فقد رأى البعض أن التطور یسیر بكیفیة بطیئة ومتدرجة ( فیما رأى البعض الآخر أنه یسیر بوتیرة مختلفة من مجتمع لآخر.).

وقد كان المجتمع الغربي بمثابة المرجع الأساسي في قیاس درجة تقدم وتخلف المجتمعات، فالمجتمع الغربي یمثل قمة مراحل التطور، وبالمقابل تمثل المجتمعات الأخرى التي تقبع في درجات دنیا من التطور الأصول الأولى للتطور بالنسبة للمجتمع الغربي، هذا الذي سوغ عملیة ( المقارنة بالنسبة للباحثین التطوریین، فكان المنهج المقارن أحد أهم المناهج البحثیة لدیهم. (

كان الأمریكي " لویس مورغان" 1818-1883 احد أهم أقطاب هذا الاتجاه من خلال أعماله التي تركزت على وجه الخصوص حول القبائل من سكان أمریكا الأصلیین، وقد قدم مورغان إسهامات هامة حول حیاة وثقافة هؤلاء السكان الذین عاش معهم، خاصة في عمله حول القرابة(أنساق القرابة والمصاهرة للعائلة البشریة)عام 1870 ، ولهذا فقد كانت القرابة مدخلا أساسیا لدراسة التطور الاجتماعي، فقد تغیرت مصطلحات القرابة مثلا بصورة بطیئة، وأعطت إشارات لفهم المراحل المبكرة للتطور الاجتماعي.

وفي كتابه المجتمع القدیم الذي صدر عام 1877 یقر مورغان أن المجتمعات البشریة تمر بمراحل تطوریة حیث كل مرحلة تشكل نمطا معینا وفقا لمراحل التطور الثقافي، فكل المجتمعات حسب مورغان تخضع لقانون واحد خلال عملیة الانتقال من مرحلة إلى أخرى، وبهذا یصل مورغان إلى أن البشریة تطورت عبر ثلاث مراحل تطوریة هي :

**- مرحلة الهمجیة التوحش :** ویقسمها إلى ثلاث مراحل وهي مرحلة التوحش الدنیا ومرحلة التوحش الوسطى ومرحلة التوحش العلیا، ویوضح مورغان أن هناك ارتقاء ثقافي خلال الانتقال عبر كل مرحلة في تقنیات العیش والنظم الاجتماعیة.

**- مرحلة البربریة :** وتنقسم بدورها إلى ثلاث مراحل : دنیا ووسطى وعلیا.

**- مرحلة المدنیة الحضارة:** وهي التي تتمیز باختراع الكتابة والحروف الهجائیة وهي مازالت مستمرة إلى الیوم.

كما یعد إدوارد تایلور 1832-1917،من رواد هذا الاتجاه، لقد اهتم تایلور بالثقافة، وهو صاحب التعریف الشهیر للثقافة والذي أورده في كتابه " الثقافة البدائیة " عام 1871 وعلى الرغم من أنه انجلیزي بریطانیا معقل الأنثروبولوجیا الاجتماعیة ولیس الثقافیة إلا أنه ساهم في إضفاء قیمة أكبر على مفهوم الثقافة، لقد كان تایلور یؤمن أن " المسارات الثقافیة التي سلكتها الشعوب لم یكن لها أن تتكرر أینما كان على وجه واحد عبر تلك الحركة الأحادیة. ..فقد كشفت له خبرته المیدانیة في المكسیك عن أهمیة الاحتكاك الثقافي ومحاكاة الشعوب الأخرى، مما جعله یعتقد بإمكانیة أن التطور قد یتم بناء على مساهمات خارجیة، وأنه كان والحالة هذه أشد تنوعا مما یضن البعض."

ورغم اهتمام تایلور بجوانب الحیاة الاجتماعیة المختلفة إلا أنه اشتهر أكثر بدراسة المعتقدات الدینیة، ففي البدایة بدأ الإنسان بالتفكیر في الروح الملازمة للإنسان ثم تدرج في التفكیر حیث اعتقد أن هناك أرواحا تسكن الطبیعة تماما مثل الروح التي تسكن الجسد، وفي الأخیر توصل الإنسان إلى فكرة الإله الواحد كمرحلة أخیرة تعبر عن قمة تفكیره.

**2/الاتجاه الانتشاري:** يعود أصلتسمية الاتجاه الانتشاريالى طبيعة موضوعه ومقاصده المعرفية والمنهجية والايديولوجية، فهو اتجاه انثروبولوجي يعنى بمتابعة النماذج والظواهر الثقافية والاجتماعية التي ظهرت في منطقة جغرافية وثقافية واجتماعية ومن ابداع شعب بعينه ثم انتشرت وشاعت متعدية حدود فضاء نشأتها الاصلي وذلك نتيجة تفاعل عدد من الاسباب الثقافية والسياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية.

یرى أصحاب هذا الاتجاه أن الاتصال بین الجماعات و الشعوب ادى الى انتشار بعض السمات الثقافية، فعملية الانتشار الثقافي تنطلق من مركز ثقافي إلى باقي المناطق كما أن الانتشار یتم أیضا من خلال انتقال السمات الثقافیة من جماعة سابقة إلى جماعة لاحقة.ويعتقد الانثروبولوجيون الانتشاريون أن الظواهر والمظاهر الثقافية والاجتماعية المادية منها أو المعنوية تمتاز بالحيوية والحركة فهي تولد وتنمو وتتطور وتسافر داخل المجتمع الواحد أو عبر عدد من المجتمعات بدرجات ومستويات مختلفة، حيث ان انتشارها يكون وفق صور وهيئات مختلفة حيث انه لا يكون دائما سهلا فقد توجد حواجز تمنعه من ذلك.

وتعتبر فكرة " المنطقة الثقافیة " التي طورها "**وسلر**" أداة هامة في دراسة الثقافة، و جوهرها تقسیم و تصنیف ثقافات العالم إلى مجموعات ثقافیة بناء على تشابه العناصر الثقافیة التي تكونها، و المنطقة الثقافیة إقلیم یضم مجتمعات إنسانیة متشابهة الثقافة، و من أجل تحدید و تمییز منطقة عن أخرى یتم تتبع مدى انتشار العناصر الثقافیة الممیزة لتلك الثقافة (طرق و أدوات الصید، طهي الطعام، العناصر المشكلة لمختلف النظم...).

وفي أنجلترا برز من یقول بوجود مركز للثقافة تنطلق منه إلى باقي أنحاء العالم، و خیر مثال على هذا نظرة العالم

"إلیوت سمیت" الذي رأى بأن مصر القدیمة هي مركز كل الثقافات الحالیة حیث انتشرت العناصر الثقافیة من مصر إلى باقي أنحاء العالم، فقد كانت نظرة سمیت هذه مؤسسة على تشابه الآثار المختلفة في العالم مع الآثار التي اكتشفها عالم الآثار " بتري" ( كنظم القرابة و فن التحنیط و عبادة الشمس. ...إلخ.

**3/التیار التاریخي :**

ویتزعمه العالم الألماني فرانز بواز 1885-1942و الذي كان رائدا لهذا الاتجاه في أمریكا وبفضله تم الانتقال من النظرة الخطیة التطوریة للتاریخ كما كانت علیه نظریات التطوریین إلى دراسة ثقافات محددة كثقافة العشائر و القبائل، مع التأكید على ضرورة دراسة هذه الثقافات في إطار منطقتها الإقلیمیة الثقافیة، و الهدف من ذلك هو معرفة أصول و تواریخ الثقافات و تحدید خصائصها و لكن الهدف الأسمى یتجلى أخیرا في المقارنة بین هذه التواریخ والتي تمیز هذه الثقافات من أجل الوصول إلى القوانین العامة التي تحكم نموها و تطورها.

**4/التیار التناسقي التكاملي:**

المنطق العام لهذا الاتجاه هو ضرورة النظر إلى الثقافة ككل متكامل یجمع بین الأفكار والمشاعر من جهة و السلوك الظاهر من جهة ثانیة، و قد كان " سابیر " من الممهدین لهذا الاتجاه من خلال نظرته للثقافة في صورة تفاعل الأفراد فیما بینهم، و ما ینتج عن ذلك من معان ومشاعر مشتركة، لذلك یعرف الثقافة بأنها" كل متكامل من أنماط فكر و عواطف و أنماط عمل"

و تعد العالمة الأمریكیة " روت بندكت" واحدة من أهم الممثلین لهذا الاتجاه، و یتجلى ذلك في قولها بأن "الثقافة مثل الفرد لدیها نمط متناسق من الفكر و العمل، كما أنه لفهم الثقافة لابد من الأخذ في الاعتبار الاتجاهات العقلیة و الشعوریة السائدة فیها و القیم و الأهداف المشتركة بین أفراد المجتمع الذي تتم فیه دراسة الثقافة"، ففي دراستها لبعض القبائل الهندیة في جنوب غرب أمریكا الشمالیة وجدت بندكت اختلافا بین القبائل، فمنها التي تركز على المظهر الخارجي للسلوك و تهتم بالطقوس و احترام العادات و التقالید وأطلقت علیها اسم " ثقافات منبسطة "، و منها التي تتمیز بالعدائیة و تعطي للدافع النفسي الداخلي أهمیة أكبر من العوامل الخارجیة و أطلقت علیها اسم " ثقافات منطویة "، فالوصول إلى فهم ثقافة ما لابد أن یأخذ في الاعتبار السلوك الظاهري في صوره المتكررة و مختلف الاتجاهات العقلیة الشعوریة في تناسقها و تكاملها.

**-5 التیار البنائي الوطیفي :**

یعد البناء والوظیفة من المفاهیم المحوریة في تحلیل المجتمع، وفي الانثروبولوجیا الاجتماعیة یشیر مفهوم البناء الاجتماعي الذي طوره " رادكلیف براون" إلى تلك العناصر التي ینسجم ویتكامل بعضها مع البعض الآخر بغرض الحفاظ على بقاء واستمرار هذا البناء.

لقد ارتبط الاتجاه البنائي الوظیفي بأسماء مالینوفسكي ورادكلیف براون، فقد كان هذا العالمان وفي سیاق نقدهما للنزعة التطوریة والانتشاریة یرفضان اللجوء للتاریخ، ولذلك كرسا جهودهما للتحلیل الزمني الآني لعناصر الثقافة المختلفة في مجتمع معین وفي الوقت الحاضر، أي دون الاهتمام بالسیرورة التاریخیة لتطور العناصر الثقافیة مثل العادات والتقالید والمؤسات. ..ولكن بالبحث عن الوظائف التي تؤدیها هذه العناصر داخل الجماعة المدروسة.

وا ذٕا كان كل من براون ومالینوفسكي وظیفیین في اتجاههما العام من حیث تركیزهما على دراسة البنیات المجتمعیة في زمنها الراهن، إلا أنهما اختلفا في نظرتهما لمفهوم الوظیفة، حیث كان مالینوفسكي یهتم أكثر بمفهوم الثقافة وتحدید الوظائف التي تؤدیها، وفي المقابل اهتم براون أكثر بالعلاقات الاجتماعیة أو البنیة الاجتماعیة، ذلك ما یعكس تأثره بالمدرسة الوضعیة التي تزعمها إیمیل دوركایم، والتي تؤمن بقدرة العلوم الاجتماعیة على اكتشاف القوانین المتحكمة في الظواهر، بالإضافة إلى اتجاهه لاستعارة منهج البیولوجیا وتطبیقه على المجتمع.

یرى براون أن المجتمعات هي كائنات بیولوجیة، بمعنى أن هناك تشابها حقیقیا بین البناء العضوي والبناء الاجتماعي، وما على الباحث إلا أن یدرس عناصر البناء الاجتماعي بغرض الكشف عن تفاعلات هذه العناصر التي تشكل من خلال تفاعلها نسقا قائما بذاته، ثم یقوم بعد ذلك باستنتاج القوانین الوظیفیة لمجتمع أو مجتمعات معینة، والانتقال بعدها إلى تعمیمات عن طبیعة المجتمعات الإنسانیة.

**-6 تیار البنیویة الأنثروبولوجیة:**

لعل أهم سؤال يطرح نفسه هنا هو ما معنى البنيوية؟

ان أصل البنيوية هو من البنية وهي كلمة تعني الكيفية التي شيد عليها بناء ما، وانطلاقا من هذا المفهوم اصبحت الكلمة تعني الكيفية تنظم بها عناصر مجموعة ما، أي انها تعني مجموعة العناصر المتماسكة فيما بينها بحيث يتوقف كل عنصر على باقي العناصرالاخرى، وبحيث يتحدد هذا العنصر لعلاقته بتلك العناصرالاخرى، فالبنية هي مجموعة العلاقات الداخلية الثابتة التي تميز مجموعة ما، بحيث تكون هناك اسبقية منطقية للكلعلى الاجزاء، أي ان أي عنصر من البنية لا يتخذ معناه الا بوضع الذي يحتله داخل الجماعة.

أما البنیویة على الطریقة الفرنسیة والتي كان كلود لیفي ستروس 1908-2009رائدا لها فقد اختلفت عن البنیویة الوظیفیة كما فهمت ومورست من قبل أوائل الوظیفیین وعلى رأسهمبراون ومالینوفسكي، فقد سعى لیفي ستروس ومن منطلق نزعته الفلسفیة إلى محاولة معرفة "الإنسان الكامل" بجمیع أبعاده، لذلك نراه یقر بتنوع الثقافات وخصوصیاتها، بما یدعو لمعاینتها فيأشكالها المجزأة، وبهذا فقد انطلق لیفي ستروس في دراساته العدیدة (الأنثروبولوجیا البنیویة – البنىالأولیة للقرابة – العرق والتاریخ- مدارات حزینة. .) من الاختلافات القائمة بین المجتمعات، هذهالاختلافات التي رأى أنها ذات طابع تكاملي، لهذا كانت الأنثروبولوجیا بالنسبة إلیه بمثابة علم

(الاختلافات المتكاملة التي تبحث عما هو جامع في الخصائص المشتركة بین كل المجتمعات. (

یبحث الأنثروبولوجي وفقا لنظرة لیفي ستروس البنیویة عما یتخفى وراء العقل، أي عما وراء العقلي والشعوري، وعن الذي یتخفى خلف التنظیم المجتمعي، وخلف الممارسات والمعاش الیومي، فهناك شيء مشترك حسب لیفي ستروس نجده عند كل إنسان مهما كان أصله ومهما كانت ثقافته، وهو اللاوعي الجماعي للذهن البشري، إن الشيء الذي یریده لیفي ستروس بالذات هو البحث فیما (وراء النظم والبنیات الظاهرة، في النفسیات الجماعیة التي تحكم الجماعات بالذات. (

یستعیر لیفي ستروس من الألسنیین طریقة عملهم لیطبقها على المجتمع، فطریقة عمل الألسنیین كما نجدها عند دوسوسور وتروبتسكوي وجاكبسون تقوم على استخراج معنى الكلام من ذلك الاتساق الذي یحدث بین العناصر الصوتیة (فونیمات)، فترتیب هذه الأجزاء أهم للفهم من تعقب تكوینها وتطورها التاریخي.

بهذه الطریقة یتم تطبیق " المنطق الألسني" على المجتمع في مجال الانثروبولوجیا وخاصة على بعض النظم الأساسیة كنظام القرابة ونظام الأسطورة وهي الموضوعات المفضلة لدى لیفي ستروس، وبالإضافة إلى هذا نجد أن هناك تقاربا بین " الفونولوجیا" علم وظائف الأصوات اللغویة من جهة وبین مصطلحات وتسمیات القرابة من جهة ثانیة، فهذه التسمیات تتشكل على مستوى اللاوعي من خلال استخدام أزواج تضادیة وعناصر تفاضلیة (أب – إبن، أخ – اخت، زوج – زوجة. )ویصل لیفي ستروس إلى إبراز أهمیة الاتصال والتبادل في مجال الأنثروبولوجیا، فوجد أن هناك ثلاثة مستویات من التبادل، یتصل المستوى الأول بقواعد القرابة والزواج ویتصل المستوى

الثاني بالقواعد الاقتصادیة، أما المستوى الثالث فیتصل بالقواعد اللغویة.

**المحاضرة الثامنة: تقنیات البحث المیداني في ميدان الانثروبولوجيا**

إذا كانت المعلومات التي تثار حول الشعوب تعتمد على طرق غیر علمیة (أي لا تعتمد على المنهج العلمي) قبل نهایة القرن التاسع عشر نتیجة الاعتماد على ما یقرره الرحالة والتجار والعسكریون. .الخ، فإنها اتخذت بعد ذلك سبیلا آخر من خلال الدراسة المیدانیة للجماعات والشعوب وتطبیق بعض الطرائق العلمیة، ولعل أحد أهم الشروط العلمیة في الدراسة الانثروبولوجیة هو حتمیة نزول الباحث ال المیدان واقامة ملاحظاته عن ثقافة ونظم المجتمعات المدروسة بشكل مباشر، ولعل أول دراسة میدانیة في هذا العلم حسب بعض الكتابات " هي دراسة بعثة جامعة كمبردج لمنطقة مضایق – توریس- في المحیط الهادي في عامي 1898 و 1899 ، وترأس العلامة الانجلیزي – هادون- تلك البعثة، رغم أن البعض الآخر یتحدث عن تلك الدراسات التي قام بها " فرانز بواس " عن " الإسكیمو " بین عامي 1883 و 1884 ، وقد توالت الدراسات على هذا النحو فكانت هناك دراسات ذات قیمة كبیرة لعل أهمها دراسة مالینوفسكي عن قبائل التروبریاند " والتي دامت أربع سنوات 1914-1918

حیث كانت هذه الدراسة الأولى التي استخدمت فیها لغة الأهالي وتم من خلالها تقمص طریقة عیشهم وممارسة عاداتهم الاجتماعیة. وبعد هذا فإن أهم الطرق المستخدمة على وجه العموم في البحث الأنثروبولوجي هي :

**1/الملاحظة بالمشاركة :**

وتشیر إلى مشاركة الباحث في مختلف النشاطات التي یمارسها أعضاء الجماعة المدروسة، فیتعلم الباحث خلال عیشه وسط هذه الجماعة اللغة التي یتكلمون بها، ویمارس ما یمارسون من نشاطات وعادات، ویلبس نفس اللباس الذي یلبسون، ویحاول أن یبدي السلوكات والتصرفات نفسها التي یسلكونها في حیاتهم الیومیة، وهذا حتى یكون قریبا منهم فیسهل علیه فهم نمط معیشتهم وتفكیرهم من جهة، وتسهل علیه أیضا تحصیل المعلومات الخاصة بالدراسة، خاصة إذا استطاع أن یشعرهم أنه قریب منهم بما یزید من ثقتهم به مما یسهل عملیة الحصول على

المعلومات.

وحسب إیفانز بریتشارد فإن إحدى شروط الملاحظة بالمشاركة أن یقیم الباحث بین الجماعة المدروسة مدة لاتقل عن سنة، یتعلم خلالها لغتهم ویشترك في معظم جوانب حیاتهم، كما على الباحث أن یتخلى خلال الدراسة عن قیمه وثقافته قدر المستطاع بغرض تحقیق قدر من الموضوعیة، إضافة إلى ضرورة توفر الباحث على نوع من المقدرة على تحمل مشاق العیش وسط الجماعات البدائیة.

**2/المقابلة :**

وتشیر إلى ذلك الحوار اللفظي الذي یتم بین طرفین هما الباحث والمبحوث، حیث یقوم الباحث بتوجیه مجموعة من الأسئلة للمبحوث من أجل الإجابة علیها، ونجد في أدبیات منهجیة البحث في العلوم الاجتماعیة عموما أن المقابلة قسمان : موجهة وغیر موجهة، غیر أن النوع الأكثر استخداما في حقل الانثروبولوجیا هو " المقابلة غیر الموجهة". یتم استخدام المقابلة غبر "الموجهة " من خلال مقابلة الباحث لبعض أفراد المجتمع الذین لهم سمعة طیبة والذین لهم خبرة بموضوع البحث، ولهم أیضا اتصال بهذا الموضوع، ویشترط في الباحث أن یعمل على كسب ثقة المبحوثین من أجل الإدلاء بمعلومات غیر مزیفة عن الواقع المدروس - وتعرف هذه الطریقة أیضا والتي یتم فیها استخدام أهل الخبرة في معرفة الواقع المدروس بطریقة " الاعتماد على الإخباریین" -، وعلیه ألا یعمل على توجیه الإجابة نحو وجهة معینة، ویمكن للباحث استخدام آلات التسجیل بشرط أن یكون قد كسب ثقة المبحوثین، أما إذا أحس أنه لم یكسب ثقتهم بعد فعلیه تسجیل المعلومات بطریقة لا تثیر الشك.

أما عن طریقة المقابلة الموجهة والتي یتم خلالها تحدید مجموعة من الأسئلة في استمارة بحث فإنها نادرة الاستخدام في الدراسات الانثروبولوجیة، وهي لاتتناسب مع طبیعة هذه الدراسات لاتصال هذه الأخیرة أكثر بالمجتمعات البدائیة التي لا یعرف بعضها القراءة والكتابة من جهة، والتي لم تتعود على مثل هذه الطرق من جهة ثانیة، لذلك فإن المقابلة الموجهة هي أكثر اتصالا ببحوث علم الاجتماع الذي یعنى بشكل خاص بالمجتمعات المتمدینة.

**3/سیرة الحیاة :**

تستخدم سیرة الحیاة بشكل كبیر خلال الدراسات الأنثروبولوجیة، وسیرة الحیاة تعبر عن اتجاه الباحث نحوشخص معین غالبا ما تكون له خبرة ودرایة بمجتمع الدراسة طالبا منه أن یروي له قصة أو سیرة حیاته، غیر أن هذه القصة لا تخص شخص الراوي فقط ولكن هذا الراوي مدخل لفهم الجماعة التي ینتمي إلیها.

وباعتبار سیرة الحیاة نوعا من أنواع المقابلة فإنها تخضع لنفس شروط المقابلة من حیث ضرورة توفیر الباحث للجو الملائم للمقابلة من خلال بناء الثقة بینه وبین المبحوث، والتصرف بمرونة حتى یتسنى له الحصول على المعلومات اللازمة.

**4/الاختبارات النفسیة :**

ویستخدم الأنثروبولوجیون بعض الاختبارات النفسیة خلال دراساتهم المیدانیة من أجل تحدید خصائص شخصیة أفراد المجتمع موضوع الدراسة، ومن هذه الاختبارات اختبار " رورشاخ"نسبة إلى مخترعه السویسري هیرمان رورشاخ، وهو یتكون من عشر لوحات، رسم على كل لوحة صورة مكبرة لنقطة حبر قذف بها على ورقة فاتخذت شكلا غیر منتظم، ویطلب من الشخص أن یصف ما یتصوره من أشكال عندما ینظر لكل لوحة، وبناء على هذا یمكن التوصل لتحدید بعض خصائص شخصیة الفرد، وتستخدم هذه الطریقة خاصة في مجال الانثروبولوجیا الثقافیة وخاصة (لدى المهتمین بالعلاقة بین الثقافة والشخصیة)، وأخیرا فإن هناك بعض الطرائق الأخرى التي یمكن أن یستعین بها الباحث الانثروبولوجي الجماعة المدروسة، لتكون جنبا إلى جنب مع الملاحظة بالمشاركة باعتبارها ملاحظة مباشرة.